جامعـــة عمـــار ثليـــجي الأغـــواط

كليـــة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

الموضـــوع:

# الجوانب الحضارية في الدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك

## (105هـ/ 724م - 125هـ/ 743م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الطالبتين:

- صواطي فاطمـــة
- مشيكـــل نجـــاة

تحت إشراف الأستاذ:

- مريقي طارق

السنـــة الجـــامعية 1439/1438ه – 2018/2017م

# شكر وعرفان

ربي اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه

نشكر الله تعالى على من أنعم علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ومنها فضله وتوفيقه لإتمام هذه الرسالة، والتي نرجو منه سبحانه أن ينفع بها، ثم نتوجه بجزيل الشكر وجميل الامتنان لفضيلة الدكتور طارق مريقي الذي كان نعم الاستاذ ونعم المشرف والذي لم يبخل علينا بأفكاره ونصائحه ومما يتميز به من حسن التسديد والتوجيه.

ثم لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة المناقشة على آرائهم لهذه الرسالة وعلى نصائحهم وتوجيهاتهم وما أسهموا به لاستكمال النقص الذي لا يخلوا منه أي عمل بشري.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

# إهداء

إلى نور الجود وسر الحياة أمي الغالية بلعيد مسعودة إلى روحه الطاهرة ابي الغالي تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته

إلى من ربيته وكنت بمثابة أم له ابن أختي الغالي "سيد أحمد رضا" وإلى ابن أختي "حجار عرفان خير الدين"

إلى سندي في الحياة إخواتي وأخواتي حفظهم الله ورعاهم

إلى من شاركتني في هذا العمل "فاطمة صواطي" حفظها الله

إلى جميع دفعة 2018/2017

نجاة

# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد والشكر على ما أعطيت من خير وفضل، والصلاة على نبيك الكريم سيدينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبع هديه الى يوم الدين .

أهدي ثمرة جهدي الى من جاهدت صبراً ، و شغلت البال فكراً ، و رفعت الأيادي دعاءاً ، إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها (أمي مباركة دمانة ) .

الى مثال الأبوة ومصدر الأمان و الإطمئنان إلى السند الذي سما بي الى بر العلم .... أبي الغالي بن قويدر أطال الله في عمره .

الى من تذوقت معهنّ أجمل اللحظات إلى من قضيت أوقات سعادتي وحزني معهن إلى أخواتي زهراء ، خضرة، خديجة ، أمال، كما أخص بالذكر زوج أختي محمد قفاف .

الى من منحت بفضله لقب الخالة الكتكوت عبدو .

والشكر موصول الى من تقاسم معي عبء إنجاز هذا العمل الأخ علي الحاج محمود . س

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

فاطمة

**قائمة المختصرات:** أشرنا إلى الرموز في الهوامش حسب النمط التالي:

| الرمز | الدلالة |
|---|---|
| ت | توفي |
| تح | تحقيق |
| تر | ترجمة |
| تع | تعليق |
| ج | جزء |
| ط | طبعة |
| م | ميلادي |
| ه | هجري |
| د ت ن | دون تاريخ |
| د ب ن | دون بلد نشر |
| د د ن | دون دار نشر |
| تر | ترجمة |
| ص | صفحة |

# مقدمة

ابتدأ العصر الأموي بتولي معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة سنة 41 هـ 661 م واستمر قرابة احدى وتسعين سنة (91سنة ) وهو من أهم العصور العربية الإسلامية، فهو العصر الوحيد الذي اتسعت خلاله رقعة الدولة العربية، فوصلت إلى حدود الصين في الشرق، والى قريب من القسطنطينة في الشمال، والى قريب من منابع النيل في الجنوب وإلى بواتيه في جنوب فرنسا في الغرب، ويضاف الى هذا الإتساع في رقعة الأرض، أن الأمويين تمكنوا بقوة وتصميم أن يحافظوا على وحدة هذه الرقعة، يحدوهم في ذلك ايمانهم الراسخ في استمرار الحياة العربية من أجل المساهمة في تعزيز مسيرة الحضارة الإنسانية وتمكينها.

تميز العصر الأموي بحراك فكري وعلمي فظهرت العديد من المذاهب والفرق، وذلك نظرا لاتساع مساحة الدولة الأموية، وتعدد أقاليمها، فكان للخلفاء والولاة تأثير في الكثير من المواقف المتنوعة تجاه تلك الاتجاهات الفكرية والعلمية، فقد استطاع بنو أمية أن يسيروا بالعرب في طريق القوة والمنعة، وأن يصونوا تراثهم من الضياع وذلك من حيث الاحتفاظ بالروح الإسلامية، وأصولهم العربية، فقد انفرد الأمويون عن غيرهم من عرب الجاهلية، أو الذين حكموا من بعدهم بميزة خاصة، هي التمسك بالعروبة، فراحلو يدققون في أنساب الخلفاء وأنساب كبار موظفي الدولة، ولا سيما الولاة منهم، فكانوا يعتمدون على ذوي الأصول العربية الصافية، لأنهم كانوا يؤمنون، بأن العرب وحدهم هم الذين يمكنهم النهوض بأمتهم وشعبهم دون الأخرين.

لقد سعى الأمويون منذ وقت مبكر الى دفع عملية البناء الحضارية في كل الميادين الفكرية والمعمارية والإدارية، فبنوا المساجد والقصور، وشجعوا حركة العلوم في شتى المجالات، وعربوا مصالح الدولة وإدارتها فكانوا يرون أن استمرار الدولة قوية وطيدة الأركان لن يكون ولن يتم إلا بتعزيز الحركة العلمية والحضارية وتقويتها.

إن دراسة التاريخ الاموية لا يعني فقط بسط الحديث عن الخلفاء وتواريخهم بل هو إلى جانب ذلك يعني دراسة واقع أمة مسلمة استمرت حوالي قرن من الزمن بما فيها من فئات وأجناس ونظم.

وهذا ما سوف نسعى لتجليه في دراستنا هاته بالقدر التي تسمح به النصوص التاريخية، محاولين من خلاله تسليط الضوء على مجريات الأحداث التاريخية للدولة الأموية عامة وزمن الخليفة هشام بن عبد الملك خاصة.

ولأن تاريخ الدولة الأموية شاسع وغني بالكثير من الأحداث والوقائع ارتأينا إلى تخصيص الدراسة في زمن معين لكي يتسنى لنا إعطاء هاته الحقبة التاريخية حقها الوافر من البحث، ومن هنا اتجه الرأي إلى دراسة زمن الخليفة هشام بن عبد الملك باعتباره من أبرز الخلفاء الأمويين الذين ساهموا في إبراز الجوانب الحضارية للدولة، ومن هنا نطرح الإشكاليات التالية:

1. من هو هشام بن عبد الملك؟ وإلى أي مدى ساهمت هاته الشخصية في الجانب الحضاري للدولة في عهده ؟
2. إلى أي مدى أثر هشام بن عبد الملك في حضارة الدولة؟
3. فيما تمثلت الوسائل التي اعتمدها في تطوير دولته؟
4. ما هي أهم إنجازاته؟
5. هل كان أثره في الدولة إيجابي أم سلبي؟

**أهداف الموضوع:**

ولضبط الدراسة تم تحديد مجموعة من الأهداف تمثلت فيما يلي:

1. دراسة حقبة تاريخية مهمة من التاريخ الإسلامي.
2. التعريف بشخصية الخليفة هشام بن عبد الملك.
3. عرض صورة واضحة للحضارة الأموية.
4. محاولة استقراء السيرورة التاريخية للدولة الأموية.
5. معرفة مدى الذي وصلت إليه الفتوحات الإسلامية زمن الدولة الأموية.

**المنهج المتبع في البحث:**

ونظرا لطبيعة الموضوع اعتمادنا على المنهج التاريخي الوصفي حيث قمنا بدراسة الظاهرة التاريخية ودراسة تطورها ووصفها إضافة إلى تحليل الأحداث المختلفة وإيجاد التفسيرات الملائمة والمنطقية لها على أسس علمية دقيقة بغضر الوصول إلى نتائج تمثل حقائق منطقية تساعد على فهم مثل هاته الحقبة التاريخية المهمة.

مضامين الفصول: قد اعتمدت هذه الدراسة على جملة من النقاط والعناصر، تم من خلالها وضع البحث ضمن ثلاثة فصول وفصل تمهيدي مبتدئين بمقدمة ذكرنا فيها: سبب اختيار الموضوع وأهميته إلى جانب أساسيات المقدمة من منهج وصعوبة ودراسات نقدية للمصادر وغيرها .

أما الفصل التمهيدي : فقد تناولنا فيه التعريف بالدولة الأموية وخلفائها وذكر أهم إنجازاتهم، مع ذكر ما أصاب التاريخ الأموي من تشويه وتزوير وتحريف، ثم استعرضنا الجوانب الحضارية للدولة السياسية منها والإقتصادية والثقافية قبل خلافة هشام بن عبد الملك .

أما الفصل الأول فقد خصص لدراسة شخصية هشام بن عبد الملك، وتم فيه الحديث عن حياة هشام ومولده ونشأته وأهم صفاته الخلقية والأخلاقية وكيف كانت علاقته بالخليفة الذي سبقه وكيف آلت إليه الخلافة.

وقد جاء الفصل الثاني بعنوان الأوضاع السياسية الدولة الأموية في عهد هشام تناولنا فيه سياسته والحركات والثورات التي قامت ضد دولته، وتم استعراض أهم إنجازاته السياسية والعسكرية وكذا مسيرة الفتوحات الإسلامية في عهده.

أما الفصل الثالث والأخير فجاء بعنوان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عهد هشام ذكرنا فيه سياسة هشام المالية وأهم واردات دولته ونفقاته، إضافة إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية والثقافية على تنوعها العلمي والأدبي محاولين معرفة ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في عهد الخليفة هشام.

واختتمنا رسالتنا هاته بذكر أهم النتائج التي توصلنا غليها بعد دراستنا لهذا الموضوع.

**دراسة أولية للمصادر والمراجع:** تطلب البحث في النواحي الحضارية للدولة الأموية تنوع مصادر المعلومات، من مؤلفات تاريخية وأدبية وفقهية، وسير والتراجم والمصادر الجغرافية وغيرها، وعلى الرغم من أن كل صنف من هاذه الأصناف ركز على ناحية معينة إلى أنه لم يهمل النواحي الأخرى، وانطلاقا من هذا فقد تمت الاستفادة بمختلف المصادر ولو جزئيا في كل فصل من فصور البحث، ومن هذه المصادر والمراجع نذكر:

كتاب ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، والذي يعتبر من اهم المصادر التي أفادت البحث خاصة وأن ابن خلدون استطاع من خلال كتاباته أن يبرهن على أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثا سياسيا فقط بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، وقد ساعدنا كثيرا هذا المصدر على تعدد أجزائه في إعداد بحثنا.

كما اعتمدنا كثيرا على كتاب الطبري (الرسل والملوك) فقد تحدث عن الدولة الأموية في جزء كبير من الفصل الخامس ثم الفصل السادس وأكثر من نصف فصل السابع حيث كان يعتمد الطريقة الحولية في سوق الروايات المسندة، كما أن قيمته تأتي من جهة قرب ولادته من الأحداث المتعلقة بالدولة الأموية، فضلا عن سعة علمه ورفعة منزلته.

ومن المصادر المهمة أيضا كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وبالرغم من أن هذا الكتاب لخص ما كتبه الطبري في القرون الثلاثة الأولى إلى أنه أضاف إليه واكمله، بما يتميز به ابن الاثير من قدرته على النقد والتمحيص، كما شكل هذا الكتاب مصدر للتاريخ الإسلامي العام ولتاريخ الأقطار الإسلامية المختلفة.

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدت عليها الدراسة، كتاب تاريخ الخليفة ابن الخياط والذي جاء مرتبا حسب طريقة الحوليات معلومات هامة عن تعيين الخلفاء الراشدين والأمويين وأبرز جهود الأمويين التي بذلوها لترسيخ قواعد حكمهم، ومن المصادر ايضا كتاب المعارف لابن قتيبة الديموري بطابعه الموسوعي حيث احتوى على معلومات مهمة في الفترة الأموية ويعتبر مكملا للمصادر الأخرى، إضافة إلى اعتمادنا على مصادر ومراجع أخرى.

**صعوبات البحث:**

لقد واجهنا في إعداد بحثنا هذا العديد من الصعوبات التي كان من أبرزها، عدم تمكننا من نقد المصادر لأن هذا يتطلب منا قراءة متأنية لكثير من الكتب واستخلاص ما يفيدنا منها في دراستنا، إلى جانب عدم مقدرتنا للوصول إلى جل المصادر التي تطرقت لتاريخ الأموي والذي يتطلب منا السفر والبحث عن النادر منها، وإلى جانب هاته الصعوبات، ما أراقنا أكثر وجعلنا في حيلة من أمرنا على اختيار المعلومات الصحيحة المتفق عليها هو أن التاريخ الأموي كتب بأقلام أعدائه والناقمين عليه من أمثال العباسيين والمستشرقين، ومنهم من أعداء الدين وتاريخ الإسلامي، فقد تطلب منا جهد كبير في محاولة اختيار ما هو أصح وابعد من التشويه والتحريف، إلى جانب ذلك وجود آراء مختلفة ومتباينة حول التاريخ الأموي بصفة عامة جعلنا مرتبكين في اتخاذ الاصوب منها خاصة في ضبط التواريخ وفي أخذ الصفة الجسمية والأخلاقية لشخص الخليفة هشام بن عبد الملك.

# الفصل التمهيدي

# الدولة الأموية قبل

# عهد هشام بن عبد الملك

تمهيد

أولا: التعريف بالدولة وخلفائها.

1/التعريف بتاريخ الدولة.

2/حلفاء بني أمية.

ثانيا: أوضاع الدولة الأموية قبيل عهد هشام بن عبد الملك.

1/الأوضاع الاقتصادية.

2/الأوضاع الاقتصادية.

3/الأوضاع الاجتماعية والثقافية.

تعد الخلافة الأمويين والتي استمرت قرابة قرن من الزمن، من أهم حقب التاريخ الإسلامي والتي جرت فيها العديد من الحوادث والتطورات الهامة، حيث بلغت الدولة الإسلامية ذروة مجدها وعظمتها، ووضعت فيها النظم الإسلامية المختلفة، وتمت عملية التعريب، وتبلورت الاتجاهات الفكرية المختلفة، وتفتحت الروح الإسلامية وسط ثراء مادي غزير، كما مهدت للحوادث التي حصلت بعدها.

## أولاً: التعريف بالدولة الأموية وخلفائها.

### 01/تعريف بتاريخ الدولة:

**أ/نسبها:**

أن الجذور التاريخية للأسرة الأموية ترجع في الأصل إلى أمية بن عبد شمس بنعبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بنو أمية مع بني هاشم، وكان بنو عبد المناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش[1].

**ب/ تأسيسها:**

قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الراشدة، بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب(ﷺ) يوم 17رمضان (40ه-660م)[2]، وبعد بدء الدولة الأموية حين تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يوم25 ربيع الأول عام (41ه-661 م)[3]، وقد عمرت الدولة أحدى وتسعين سنة (91سنة)، تعاقب فيها على منصب الخلافة، أربعة عشر رجلا وفي مقدمة الرجال ذوي الأهمية بين خلفاء الدولة الأموية هما المؤسسين: معاوية بن أبي سفيان (41-60ه) المؤسس الأول لدولة، وواضع أسسها، وعبد الملك ابن مروان(65-76ه)، المؤسس الثاني للدولة، وراسم شخصيتها المستقلة وداعم استقلالها الاقتصادي، لتشهد بعدها الدولة تعاقب

---

[1] علي محمود الصلابي، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008م، ج1، ص21. (للاستفادة أكثر أنظر الملحق رقم 1ص 85)

[2] ابن قتيبة الدينوري، **الامامة والسياسة**، تح الشيري، ط1، مؤسسة آل البيت، بيروت، لبنان، 1413هـ، ج1، ص180.

[3] محمود شاكر، **التاريخ الاسلامي**، ط7، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان،2000م، ج4، ص53.

عدد من الخلفاء على مدى تاريخيها، منهم من أخذ بها نحوى البروز والتطور، وبعضهم الآخر جربها نحوى الانحدار والتدهور.

ومن المعروف أن هناك أحداث كثيرة مهدت لقيام الدولة الأموية، وفي مقدمتها فتنة عثمان بن عفان سنة( 36هـ)، التي كانت صورة من صور الصراع السياسي الخفي بين التيارات المتداخلة الهوية، وإن برز فيها تيار التنافس على الخلافة بين بني أمية، وبني هشام تياراً قوياً، و لم تكن خلافة علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) وما نتج عنها أقل مما سبقها على الساحة السياسية، ولعل من أهم نتائجها قيام الاتجاه الخارجي[1] الذي رفض التحكيم[2]، وانقلب على علي، وكان مما قرره بعد التوالي عدد من الأحداث والصراعات الدموية التخلص من علي ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، بيد أنهم لم يفلحوا إلاّ في قتل علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه)، الأمر الذي دفع جمهرة المسلمين إلى مبايعة الحسن بن علي والذي كان له الفضل في حفظ دماء المسلمين وبتر الفتنة، وسلّم الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان لما رأى من مصلحة للمسلمين، وذلك في (41ه-660م) (سمي بعام الجماعة)[3]، وفيه قامت دولة بني أمية وعاصمتها دمشق.

ولقد أصاب تاريخ بني أمية الكثير من التشويه، حتى أصبح الكثير من الناس يظنون أن الإسلام لم يمكن له إلا في العهد النبوي و الراشدي، وهذا من سوء حظ الأمويين إذ وقع في مطلع أيامهم حدثين مهمين عكّرا صفو المسلمين، وترك كثيراً من الآثار النفسية، التي لم يكن محوها سهلاً وهما: حادثة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي بن أبي طالب عام(61ه-680م)[4]

---

1 **الاتجاه الخارجي** وهم الخوارج ، والخوارج فرقة خرجت على الدين ، عرفهم الشهرستاني بأنهم كل من خرج على الإمام الحق يسمى خارجياً، سواءاً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، ت.ع، أحمد فهمي محمد، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م ص106.

[2] **التحكيم**: هو عبارة عن اتخاذ الخصمين حكماً برضاهما يفصل خصوماتهما ويقال له الحكم والمحكم، محمد عميم الإحسان المجددي البرتكي، **قواعد الفقه**، الصدف ببلشرز، ط1، كراتشي، 1986م، ج1، ص222.

[3] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، 2003م، ص156.

[4] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ط1، دار الكتب العلمية، 1987م، ج3، ص407.

وقعة الحرّة عام(63ه-682م)[1]، التي تعرضت فيها المدينة المنورة للعدوان والحصار، ما جعل هناك استياء عاماً بين الناس، استغله الراغبون في النيل والتذمر بالأمويين.

ومما لاشك فيه أن هناك عدة أسباب دفعت الباحثين في تاريخنا الإسلامي للافتراءات على تاريخ الدولة، من أبرزها طائفة الشيعة التي بدأت كحركة مناحرة لآل البيت، لتتطور وتصبح مذهباً قائماً بذاته ذا ميول علوّي شيعي، ولها موقف عدائي ضد بني أمية، تناولت الكتابات التاريخية دون تمحيص، وكذا الحال بالنسبة لفرقة الخوارج[2]، فهاتين الطائفتين هما الخصوم الفكريون لبني أمية، وهم الذين تولوا أكبر تحريف لتاريخ بني أمية.

الطرف الثاني الذي اشترك في تزوير التاريخ الأموي هم المستشرقون، فقد نالوا من التاريخ الإسلامي بصفة عامة، والتاريخ الأموي بصفة خاصة مثل: فون كريمر[3]، وفان فلوتن[4]، ماكسيم روندينون وغيرهم، وقد تناولوا دراسة بعض الشبهات التي تثار حول الحكم الأموي وسيرة بعض الخلفاء والولاة، مثل بحثهم عن حركات المعارضة للأموين التي كان يجب على باحثها الاطلاع على المباحث الفقهية الخاصة بالخروج على الجماعة في الاسلام، وتصويرهم المجتمع الإسلامي في العصر الأموي حيث كان اعتمادهم بصورة أساسية على كتابات أدبية طغى اهتمامهم بها على ما عداها من مصادر الثقافية الإسلامية[5].

أما الطرف الثالث الذي أشرك في التحريف، ولكن عن غير قصد ولا نية خبيثة مثل السابقين، هم عامة المسلمين من أصحاب العواطف الجياشة الذين صدقوا تلك الأباطيل والأكاذيب وراحوا يرددونها ويتناقلونها عبر الأجيال ظناً منهم أنهم يدفعون عن الحق ويكتشفون الباطل وينصرون البيت ضد أعدائهم، وهؤلاء هم الذين وقعوا ضحية أكاذيب الشيعة والخوارج

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص455.

[2] حمدي شاهين، **الدولة الأموية المفترى عليها**، ط1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، 2001، ص29.

[3] **فون كريمر:** مستشرق ألماني ألف كتابه عن أثر اليهودية والمسيحية والبرسية والمانوية في الإسلام، أحمد توني عبد اللطيف، **تشويه التاريخ الأموي من خلال بعض كتابات العرب والمستشرقين**، ط1، دار العلوم، المنيا، مصر، د.ت، ص33.

[4] **فان فلوتن:** مستشرق صاحب كتاب السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، احمد توني عبد اللطيف، المرجع السابق، ص40.

[5] حمدي شاهين، المرجع السابق، ص89.

فنقلوا أحاديثهم وأكاذيبهم عبر العصور وملأت كتب التاريخ القديمة بتلك الروايات المكذوبة ونجد كتباً مثل: تاريخ المسعودي والطبري وابن الأثير وغيرهم، على مكانتهم العلمية السامية وسلامة عقيدتهم، نجدها تعّج بأمثال تلك الروايات الباطلة دون تمحيص ولا تحقيق مثلما يفعل ابن كثير والذهبي وغيرهما من مؤرخي الإسلام المحققين، فيقرأ الناس تلك الروايات في كتب الطبري والمسعودي وغيرهما، فيصدقوها تبعاً لمصداقية المؤلفين.

ورغم كل الانجازات الكبيرة التي حققتها الدولة الأموية إلا أن تاريخها العظيم حافل بالانتصارات والفتوحات قد تعرض لحملات تشويه مكثفة طالت كل أطراف الدولة الأموية قادة وولاة وأمراء وخلفاء وحتى العلماء، بحيث الذي يقرأ التاريخ الأمويين في بعض المراجع القديمة والحديثة أيضا، يشعر كأن الدولة الأموية ليست سوى دولة علمانية[1]، لا تعرف شرع الله، يحكم خلفاؤها بأهوائهم وتتحكم فيهم شهواتهم كأن الأمر قد حدث فيه انفصال مباشر وفوري وجذري.

**02/خلفاء بني أمية:**

استطاع بنو أمية أن يقبضوا على ناصية الحكم في الدولة العربية الإسلامية، ما يقارب قرناً من الزمن(41ه-132ه) توالى فيها على الحكم فرعان، السفياني والمرواني:

**أ/الفرع السفياني:** وقد تسلم فيه ثلاثة خلفاء:

معاوية بن أبي سفيان:(41ه-60ه/661م-680م): هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد المناف بن قصي القرشي الأموي، مؤسس الخلافة الأموية، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[2]، ولد بمكة قبل الهجرة، تولى الخلافة بعد تنازل الحسن بن علي له سنة 41ه، توفي سنة 60ه[3].

---

[1] حسين مؤنس، **تنقية أصول التاريخ الإسلامي**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1997م، ص53.

[2] اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ط1، مطبعة ريل، ليدين، 1883م، ج2، ص256.

3محمود شاكر، المرجع السابق، ج4، ص67

يزيد بن معاوية:(60ه-64ه/680م-684م): هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمه ميسون بنت بحدّل الكلبية[1]، ولد سنة26ه، وكان عمره حين البيعة 34سنة[2]، وكانت مدة ولايته ثلاث سنوات وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوم، مات في سنة64ه وهو ابن 38سنة[3].

معاوية بن زيد(معاوية الثاني): هو أبو عبد الرحمن، معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان امه بنت أبي هشام بن عتبة بن ربيعة، ولد سنة44ه[4]، تولى الخلافة بعهد من أبيه، وكانت ولايته 40يوماً، توفي سنة64ه وله23سنة، وقيل 21سنة وقيل27سنة، دون أن يعهد الخلافة إلى أحد وكان مروان بن الحكم قد صلى عليه ودفنه بالقرب من قبر أبيه[5].

ولا يعد معاوية ابن يزيد خليفة مادامت الأمة لم تجمع عليه، وإنما كانت البيعة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وقد بقي تسع سنوات خليفة في الحجاز واليمن والعراق وخرسان، ويعد هو الخليفة الشرعي من(64ه-73ه/684-692م) أي من وفاة يزيد حتى مقتله رضي الله عنه[6].

**ب/ الفرع المرواني**: وقد حكم سبعة وخمسين عاماً (73ه-132ه)، وتولى عليه عشرة خلفاء هم:

1/ عبد الملك بن مروان (73ه-86ه/ 692م705م): هو عبد الملك ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية[7]، وهو المؤسس الثاني للدولة الأموية، يكنى أبا الوليد وأبو الأملاك، وذلك لأنه ولى الخلافة أربع من ولده وهم

[1] القلقشندي، **مآثر الاناقة في معالم الخلافة**، تح عبد الستار أحمد فراح، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، ص115.
[2] شاكر، المرجع السابق، ص115.
[3] القلقشندي، المصدر السابق، ص117.
[4] محمد صلابي، المرجع السابق، ج1، ص552.
[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص302.
[6] محمود شاكر، المرجع السابق، ج4، ص53.
[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص320.

الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام[1]، ولد سنة 26ه، بويع له بالخلافة بعد أبيه مروان بن حكم بعهد منه، توفي سنة 86، وكانت خلافته 13سنة و5أشهر[2].

2/ الوليد بن عبد الملك (76ـ96ه/ 705-715م): هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وأمه ولادة بنت العباس، يكنى أبا العباس، بويع له بالخلافة سنة86ه، وكانت أيامه بالخلافة تسعة أشهر وخمس سنوات، توفي سنة 96ه، وله أربع وأربعون سنة[3].

3/ سليمان بن عبد الملك (96-99ه/715-718م): هو سليمان بن عبد الملك بن مروان وأمه ولادة بنت العباس أم الوليد بن عبد الملك، ولد سنة 60ه، وتولى الخلافة سنة99ه، وذلك بعد أخيه الوليد بالعهد من أبيه، ومكث بالخلافة سنتين وثمانية أشهر، وتوفي في سنة99ه وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة[4].

4/ عمر بن عبد العزيز (99-101ه/718-720م): هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأمه ليلى أم عاصم بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولد سنة 61ه، تولى الخلافة بعهد سليمان بن عبد الملك إليه، وذلك في سنة 99ه، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً مات سنة 101ه، وهو ابن تسعة وثلاثين سنة وأشهر[5].

5/ يزيد بن عبد الملك (101-105ه /720-724م): هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولد سنة71ه، وقد استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز، ومات يزيد بن عبد الملك سنة105ه، وهو ابن أربع أو ثلاث وثلاثين سنة[6].

---

[1] أحمد ابن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، تح عبد المجيد الترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م ج5، ص147.

[2] محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1971م، ج6، ص418.

[3] نفسه، ج6، ص423.

[4] السيوطي، المصدر السابق، ص180.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص550.

[6] الطبري، المصدر السابق ، ج6، ص574.

6/هشام بن عبد الملك (105ه - 125ه/ 724م -743م): هو هشام بن عبد الملك ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس الأموي القريشي، ولد سنة 72ه، أمه عائشة بنت هشام بن اسماعيل بن هاشم بن الوليد بن المغيرة المخزومي، تولى الخلافة سنة105ه، توفي سنة125ه وهو ابن أربعة وخمسين سنة[1].

7/ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ( 125ه ــ 126ه/ 743م ـــ744م ): هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، ولد في سنة 90ه، تولى الخلافة بعهد عقده له أباه من بعد هشام بن عبد الملك، وكانت مدة ولايته سنة وشهرين وعشرين يوماً، توفي مقتولاً سنة 126[2].

8/ يزيد بن الوليد بن عبد الملك ( 126ه ـــ 126ه/ 744م ـــ744م): هو زيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار ابن كسرى ولد سنة 80ه، وبويع له بالخلافة في دمشق بعد مقتل الوليد بن يزيد وذلك في سنة126 ه، توفي في نفس السنة بمرض الطاعون، وهو ابن خمس أو ست وثلاثين سنة[3].

9/ إبراهيم بن وليد بن عبد الملك ( 126ه - 127ه/744م - 745م): هو إبراهيم بن وليد بن عبد الملك بن مروان، بويع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص، بقي في الخلافة سبعين ليلة ثم خلع خرج عليه مروان بن محمد وبويع فهرب إبراهيم، توفي في سنة 127ه[4].

10/ مروان بن محمد بن مروان ( 127ه-128ه/745م - 746م): هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وأمه كردية يقال لها لبابة، ولد سنة72ه وهو آخر

[1] ابن الكثير، **البداية والنهاية**، ط1، دار الهجر، الجيزة، مصر، 1997م، ج9، ص290.

[2] ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج5، ص197.

[3] السيوطي، المصدر السابق، ص201.

4 اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص 403.

الخلفاء الأمويين بويع بالخلافة في سنة127ه، وكانت ولايته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، توفي سنة132ه وهو ابن أربع وستين سنة[1].

**ثانياً: أوضاع الدولة الأموية قبيل هشام ابن عبد الملك.**

إن أحداث التاريخ الأموي شكّلت دولة إسلامية مترامية الأطراف تفاعلت عليها عناصر متعددة وشهد تبنى اجتماعية وقومية متباينة وتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، حددت مسيرتها ونهجها.

**01/الأوضاع السياسية:**

كانت الفتوحات الإسلامية الكبرى للدولة الأموية دليلاً ملموساً على حيوية الأمة، وتفاعلها مع دين الله وحرصها على هداية الشعوب، فكان من فضائل الدولة الأموية في عهد معاوية ابن سفيان وعبد الملك ابن مروان وبنيه الوليد وسليمان، الفتوحات الواسعة التي تمت على أيديهم[2] والتي امتدت ديار الإسلام نتيجة لذلك بين الصين في الشرق وبلاد الأندلس وبلاد الغال[3]، في الغرب، وكان الخلفاء يرسلون أبنائهم إلى الجهاد ويشهدون القتال وكان الصحابة وكبار التابعين من ضمن تلك الجيوش، وحركة الفتوحات أشرفت عليها الدولة وتفاعل معها المجتمع الإسلامي بكافة ألوانه من العلماء والفقهاء والتجار والزهاد والعباد وتحركت تلك الجيوش في المشارق والمغارب[4].

1 اليعقوبي، المصدر السابق ج2، ص415.

[2] علا عبد العزيز أبو زيد، **الدولة الأموية دولة الفتحات**، ط1، المعهد العالي للفكر الاسلامي، القاهرة، مصر، 1996م، ج8 ص29.

[3] **بلاد الغال**، هي الأرض الواقعة بين جبال البرتات وبين جبال الألب والأوقيانوس، ونهر ألبا ومملكة الروم وهي فرنسا حالياً. عبد الله بن حسين الشنبري الشريف، **الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك**، ط1، جامعة أم القرى، السعودية، 1410ه، ج1 ص387.

[4] للاستفادة أكثر الملحق2ص 86.

حمل الخلفاء الأمويين وعمالهم وقوادهم راية الجهاد الإسلامي، في حركة فتح الكبرى بدأت بإعادة السادة الإسلامية على بعض المناطق التي تمردت على سلطان المسلمين كخُراسان وإرمينية[1] مشعلة الفتن الداخلية التي عاشتها الدولة الإسلامية وأواخر عصر الراشدين وأول العصر الأموي وبلغت أوجها في عهد الوليد ابن عبد الملك، ففتح من الناحية الشرقية بلاد السند والبنجاب[2] على يد محمد ابن القاسم الثقفي[3]، الذي وجه إلى تلك البلاد من قبل الحجاج الثقفي[4]، عامل الخليفة الوليد بن عبد الملك على العراق والمشرق.

وفي خلافته أيضا فتحت بلاد ما وراء النهر[5]، وضمن مدنها وأقاليمها للدولة الإسلامية كبخاري وسمرقند والسند والشاش[6]، وغيرها حتى وصل إلى الصين فكان ذلك أقصى مدى وصلته الفتوح الإسلامية شرقا.

أما الفتح شمالا فقد عمل الأمويين على تثبيت سلطان المسلمين في أرمينية التي لم تخضع للمسلمين خضوعا تاماً ودائماً، مثلما حدث في بعض الأقاليم الأخرى كالشام ومصر وغيرهما حيث ظلت أرمينية منطقة صراع سياسي وعسكري بين المسلمين والأمراء من الأرمن من ناحية وبين المسلمين والقوى المجاورة من الروم والخزر والقبائل القوقازية من ناحية أخرى[7].

---

[1] **إرمينية:** بكسر أولها وفتح وسكون ثانيها وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة، وهي اسم لصقع عظيم واسع في جبهة الشمال. شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1993م، ج1 ص159.

[2] **بلاد السند:** إقليم السند في شمالي غربي شبه القارة الهندية وشرقي بلاد فاس الجنوبية. سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، **أطلس الدولة الأموية**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2011م، ص166.

[3] **محمد ابن قاسم الثقفي:** قائد أحد جيوش الفتح ومشهور بكونه فاتح بلاد السند ووالبها، كان والده القاسم الثقفي والياً على البصرة، ووالده هو ابن عم الحجاج الثقفي، الكامل، المصدر السابق، ج4، ص205.

[4] **الحجاج الثقفي:** الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي 41-95ه/661-713م)، أشهر الولاة الأموين، ولاه عبد الملك مكة والمدينة ثم البصرة، وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980م، ج2، ص168.

[5] حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الاسلامي الديني والثقافي والاجتماعي**، ط14، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996م، ج1، ص245.

[6] **الشاش:** مدينة في ارض سهلة، وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر، يجري فيها المياه ولها مدن كثيرة تزيد عن خمس وعشرين مدينة. أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، **تقويم البلدان**، ط1، دار الطباعة السلطانية، باريس، فرنسا، 1830م، ص395.

[7] عبد الله بن حسين الشريف، المرجع السابق، ص37.

وباتجاه الغرب أتم الأمويون فتح افريقية، وذلك بعد جهود عسكرية كبيرة قادها عدد من القادة على مراحل متتالية وهم معاوية بن حديج وعقبة بن نافع الفهري وأبو المهاجر دينار، وعقبة للمرة الثانية، وزهير بن قيس البلوي، وحسان ابن النعمان، وآخرهم موسى بن نصير[1].

إنّما تحقق من عظيم الفتحات في العهد الأموي، كان وراءه عوامل مساعدة معنوية وحسية ولعل من أهم تلك العوامل، ما وصل إليه الجيش الأموي من كثرة وكفاءة وقوة جوهرها، الإيمان وظاهرها حسن الإعداد والتنظيم والتدريب والتجهيز، وتطور الأساليب وتنمية القدرات.

كما عرفت الدولة الأموية الكثير من الفتن والتراعات منذ بداية حكم بني أمية وانقسم المسلمين فيها إلى عدة فرق ومذاهب، وكان السبب الرئيسي فيها هو تغيير نظام الخلافة من الشورى إلى الوراثة، حيث أعلن معاوية ابن أبي سفيان البيعة لابنه يزيد من بعده، فأصبح الحكم وراثياً ينتقل من الأب إلى الابن أو من الأخ إلى أخيه، وكان السبب تغير الخلافة إلى ذلك الحال خوف معاوية من افتراق الكلمة بين المسلمين، ورغبة منه للحفاظ على وحدة الأمة[2].

وبعد أن حكمت الدولة الأموية أمر الأمة، ونصبت نفسها للخلافة على الرغم من معارضة البعض، أدى ذلك إلى ظهور الفرق كالخوارج و الشيعة والمرجئة، و لم يكن أمر الاختلاف على الخلافة هو السبب الوحيد، بل كانت هناك عوامل عديدة ساعدت على ظهور هذه الفرق من بينها، ترجمة التراث اليوناني إلى اللغة العربية وافتتان البعض به والخوض في المشكلات العقائدية بغير المنهج الذي وضعه الشرع، هذا إضافة إلى أن الجدال مع أصحاب الديانات والمذاهب الغير إسلامية أثار كثير من المشكلات العقائدية لدى البعض المسلمين.

### 02/الأوضاع الاقتصادية:

كانت الأوضاع الاقتصادية في عهد بني الأمية مزدهرة، فلقد قام الأمويين بفتح الكثير من البلدان، واتسعت رقعة الأراضي الإسلامية وظفر المسلمون الكثير من الغنائم ووصل إلى بيت مال المسلمين أموال الخراج والجزية، وامتلأت خزائن الدولة بالخيرات، "فلقد بلغ بنو أمية في عهد

[1] عبد الله بن حسين الشريف، المرجع السابق، ص39.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج3، ص351.

الوليد أقصى درجات عزهم واعتز بحكمه الإسلام والمسلمين، وفتحت البلاد وتغلغلت جيوشه بلاد الترك والروم والهند وفتحت الأندلس، وجاء فاتحها موسى بن نصير إلى دمشق يضع بين يدي الخليفة الأموال والجواهر"[1]، فقام الخلفاء بتحسين أوضاع البلاد الاقتصادية كما حاولوا تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد لكي تنعم كل الطبقات الشعب بحياة اجتماعية أفضل[2]، وكان أعظم تطور اقتصاد حصل في زمن عبد الملك بن مروان، حيث ضرب عمله مستقلة بعد أن كانوا يتعاملون بالعملة الأجنبية، هذا ما أكد استقلال الدولة الإسلامية اقتصادياً فأصبح لها نقدها بعد أن كانت تعتمد على النقد الأجنبي محدد الكمية، ورديء القيمة أو مغشوش[3].

ولقد اهتم بنو امية بالزراعة، فكانت الشام تعد من مراكز الانتاج الزراعي الرئيسية فطوروا مشاريع الراي، التي وضعت اسسها خلال العصر الراشدي وتجلى ذلك في حفر الابار، وشق القنوات والجداول، واقامة سدود واحواض المياه، وانشاء الجسور والقناطير ونصب الات مقاييس الماء.

هذا اضافة إلى اهتمام بالتجارة والتي انتعشت وازدهرت فكانت القوافل الاموية وسفنهم تجتاز الصحاري والجبال والبحار، حتى أصبحوا حلقت الاتصال التجاري في العالم الاسلامي[4] ويعود السبب في ذلك كون عاصمة الخلافة دمشق مركز إلتقاء القوافل في آسيا الصغرى وما بين النهرين ومصر وبلاد المغرب، وكانت سوقاً تجارية هامة تتجمع فيها مختلف أنواع السلع والبضائع وتوزع على مدى الساحل لتصدر عبر البحار أو تنتقل الى البلاد العربية.

---

[1] محمد كرد علي، **خطط الشام**، ط2، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص122.

[2] أحمد إسماعيل علي، **تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الأموي**، ط3 دار دمشق، دمشق، سوريا،1994م ص324.

[3] رفيق المهياني، **تاريخ الخلافة الاموية والعباسية والدول الاسلامية والعصور الوسطى في أوربا**، ط1، دار اليقضة العربية، دمشق، سوريا 1946م،ص31.

4 احمد اسماعيل علي، المرجع السابق، ص326.

### 03/الأوضاع الاجتماعية والثقافية:

تطور المجتمع الإسلامي مع تطور الدولة الإسلامية، فكلما اتسعت حدود الدولة الإسلامية شهد المجتمع الإسلامي تطورات عديدة في شتى الميادين، فقد احتوت الدولة الإسلامية على الشعوب وقوميات وديانات متعددة ومتباينة، وانقسم المتجمع فيها إلى عدة فئات، ففي العصر الأموي عرف المجتمع ثلاث طبقات وهي:

#### أ/الأسرة الحاكمة:

سار الخلفاء الأمويين على منهج الخلفاء الراشدين فتعصبوا للعنصر العربي وانتهجوا العصبة العربية في تعيين العرب المسلمين في مراكز ووظائف عالية وأبعاد الموالي عن هده المناصب، "فقد ميز الأمويون بين العرب والأعاجم فخصوا العنصر العربي بالمرتبة الأولى في هذا المجتمع وعولوا عليه في تنفيذ سياساتهم وإدارة شؤونهم"[1]، ولعل ذلك راجع إلى خشيتهم على العرب من ضياع والاندماج في العناصر الأخرى التي دخلت الإسلام، ولذلك اهتم الأمويون بصورة خاصة بهم، و لم يحبذوا التزوج بأمهات الأولاد و لم يفضل الأمويون ابن الأمة وبذلك حرم أولاده الإماء من الخلافة مثلا كما هو الحال في عدم عهد عبد الملك إلى ابن مسلمة على رغم من شجاعته وإخلاص الأخير له في معظم الميادين وكذلك لإخوانه الذين جاءوا للحكم من بعده أبيه ومن رعايا الدولة الأموية[2]، هذا ما أثار العصبية القبلية.

#### ب/طبقة الموالي:

وهم غير العرب من المسلمين وجلهم من الفرس والروم، وقد نبغ منهم العديد من علماء الدين وأسند إليهم مناصب القضاء وغيرها، في حين اتجه الكثير منهم إلى الانتقال بوظائف أخرى مثل: الزراعة والصناعة[3]، كما اشتغلوا بمناصب إدارة ومالية، وانضم منهم الصفوف الجيش في

---

[1] عمر الطباع، **ديوان الفرزدق**، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1997م، ص8.

[2] صلاح طهبوب، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي**، ط1، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، 2004م، ص146.

[3] أنور الرفاعي، **الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية و الاجتماعية والاقتصادية والفنية**، ط3، دار الفكر، دمشق، 1997م، ص248.

الأقسام الشرقية من الدولة الإسلامية، ثم برز منهم في العديد من العلوم النقلية والعقلية، فقد احتلوا مكانة كبيرة في العصر الأموي، سواء كان ذلك في الحياة السياسية أو الإدارية أو العسكرية، وضلت مكانتهم تتسع تدريجياً للمشاركة في الحكم والإدارة.

ولقد نال كثير من الموالي الذين اخلصوا للإسلام مكانة عالية عند المسلمين من عرب وموالى وأصبحوا من أبرز علمائهم ومفكريهم كما وجد الكثير من الموالي الذين يعترفون بفضل العرب عليهم، اذ أخرجوهم من ظلمات الكفر والوثنية الى نور الهداية والاسلام ورفعوا عنهم ظلم السياسية و الطبقية الاجتماعية[1].

**ج/أهل الذمة:**

هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يتمتعون بقسط وافر من الحرية الدينية والشخصية مارسوا طقوسهم الدينية وخضعوا في الأحوال الشخصية إلى رؤسائهم الروحانيين وقد عفى الإسلام أهل الذمة من الخدمة العسكرية حيث أصبحوا في ذمة الحاكم المسلم الذي كان يدافعوا عنهم مقابل دفع ضريبة محددة من الجزية[2].

اهتم الأمويون بالعلوم واعتنوا بها خلال عصور مختلفة، فعرفوا علوم التربية والعلوم الدينية والأدبية والعلمية، فكان العصر الأموي عصر التدوين والترجمة، وبرز علماء وفقهاء كان الفضل في معرفة العديد من العلوم.

وقد حظيت الحركة العلمية باهتمام غالب الخلفاء الأمويين، وكان لهذا النشاط العلمي مظاهر المتمثلة في مؤسساته ورجاله ومنهاجه، ويأتي على رأس المؤسسات، المؤسسات العلمية المساجد، حيث قامت بالدور الرئيسي للتعليم في مختلف مجالاته من التفسير وحديث وفقه ومغازٍ وغيرها، ذلك الى جانب المساجد نجد الكتّاب منارة من المنارات التعليم ساهمت في نشر العلوم والتخرج دفعات من العلماء وحفظة القرآن، كما أنشأت المكتبات والمدارس ودور التعليم .

[1] حمدي شاهين، المرجع السابق، ص355.

[2] صلاح طهبوب، المرجع السابق، ص148.

ولقد كان للحركة العلمية في العصر الأموي دور كبير وبارز جداً في التمهيد للنهضة العلمية، التي سادت في العصور اللاحقة، إذا أنهم أرسلوا أسس التراث العلمي، ومن أهم هذه التطورات التي هيأت للنهضة العلمية، حركة التعريب في عهد عبد الملك بن مروان[1]، الذي جعل من اللغة العربية لغة رسمية للدولة، أصبحت تستخدم في كل أصقاعها من المشرق إلى المغرب كما ساهم الوليد ابن عبد الملك كثيراً أيضاً بإنشائه المساجد، والمدارس والمستشفيات تحت رعاية الدولة[2].

واجمالاً كان أهم مجالات الازدهار العصر الأموي، العلوم الدينية واللغوية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب، وقد انقسمت الحركات العلمية في العصر الأموي إلى أربع حركات وهي:

1 الحركة الدينية: المعنية بالعلوم الدينية مثل تفسير الأحاديث والتشريع؛

2 الحركة التاريخية: المعنية بتوثيق التاريخ والقصص والمغازي ونحوها؛

3 الحركة الأدبية: المعنية بالشعر والنشر وما إلى ذلك؛

4 الحركة الفلسفية: المعنية بالنطق والكيمياء والطب ومشابهها.

لكن الأمويون لم يميلوا إلى دعم العلوم، فلم يدعم خلفاؤهم أو أمرائهم سوى الحركتين الأدبية والقصصية من بين كل هذه الحركات العلمية، فلم يكن يمتعهم ويجدبهم سوى الشعر والخطب والقصص، ولا يستثنى من هده سوى خالد ابن يزيد ابن معاوية[3]، الذي كانت لديه نزعة فلسفية فوق نزعة الأدبية، ودعم بشدّة الحركات العلمية في مجالات الطب والكيمياء والفلك بالإضافة إلى عمر ابن عبد العزيز الذي دعم الحركة الدينية[4].

[1] محمد سهيل طقوس، **تاريخ الدولة الأموية**، ط7، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2010م، ص98.

[2] نفسه، ص104.

[3] شمس الدين بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح احسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، د-ت، ج2 ص212.

[4] يحي بن ابراهيم اليحي، **الخلافة الراشدة والدولة الأموية من الفتح الباري**، ط1، دار الهجرة، 1415ه،ص689.

تثبت الخلفاء والولاة الأمويون مبدأ الدولة بكل ما يحمله من مظاهر أبهة والفخامة فاستهدفوا نظم إدارية واقتصادية خاصة كالعملة ذات الطابع العربي، وشيدوا مساجد وقصور ضخمة كالمسجد الجامع الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك بدمشق، كما استنبطوا صفات خاصة بهم، كالإبعاد بين الخليفة والناس، وأسسوا الحكم السلالي والأسري، فتوارثوا بذلك الحكم من عهد الخليفة معاوية ابن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، أي من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني، وكانت نتيجة ذلك كله تدعيم المؤسسات ومظاهر الملك التي تقوي الدولة كهيكل وتزيد من سلطة الخليفة، ولكن يتعارض تركيزهم السياسي مع دعمهم الديني، فقد دعم الأمويون الإسلام بتركيزهم العميق على الجهاد ونشر الإسلام، فحافظوا على دار الإسلام ووسوعها، حيث امتدت رقعة الدولة الأموية إلى بلاد ما وراء النهر وحدود الصين شرقا والأندلس غربا.

# الفصل الأول

# شخصية هشام ابن عبد الملك

**أولا: حياة هشام بن عبد الملك**

1. مولده ونشأته
2. صفاته الخلقية والخلقية
3. وفاته

**ثانيا: هشام واليا للعهد**

1. علاقة هشام بن عبد الملك بالخليفة يزيد بن عبد الملك
2. توليته للخلافة

أنجبت الأسرة الأموية العديد من الشخصيات ذات الانجازات الكبيرة، والأدوار المهمة في تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، وكان في الصف الأول من رجالات هذه الأسرة، هشام ابن عبد الملك، الذي أثبت حضوراً قوياً وحضي بشعبية لافتة الأنظار، أهلته لاختياره خليفة بني أمية دانت له البلاد وملك جميع العباد، فلم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام.

## أولاً: حياة هشام ابن عبد الملك

### 1 مولده ونشأته:

هو هشام ابن عبد الملك ابن مروان ابن الحكم بن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس الأموي القريشي[1]، وهو عاشر الخلفاء الأمويين وسابع الخلفاء المروانيين ورابع أبناء عبد الملك، ولد سنة (72ه-691م) بدمشق، في العام الذي قتل فيه والده مصعب ابن الزبير فسماه منصوراً تفاءلاً بذلك، إلاّ أنّ أمه أسمته باسم أبيها هشام فأقرّ ذلك و لم ينكره عليها[2].

- أمه هي عائشة أم هاشم بنت هاشم بن إسماعيل بن هاشم بن الوليد بن المغيرة المخزومي وطلقها عبد الملك لحمقها حيث كانت لها تصرفات تدل على الحمق والبله[3].

لم تذكر المصادر عن نشأة هشام وطفولته وأين ترعرع إلاّ القليل، فقيل أنه وبعد انتقاله إلى دمشق تربى في أحضان والده أحسن تربية، وترعرع في بيت الحكم والسلطان و لم تأثر فيه أبّهة الحكم، فنشأ رجلاً عاقلاً حليماً عفيفاً مدبراً سائساً حتى عُدّ من كبار الساسة، وقد قضى فترة مع والده قبل وفاته، وقد توفي والده وهو في دمشق، وكان عمره عند وفاة والده أربع عشرة سنة[4] ولهشام عشرة ذكور منهم: معاوية بن هشام، ومنهم سليمان بن هشام، وكذا سعيد، وكانت أمه نصرنية[5].

---

[1] ابن كثير، المصدر السابق، ج9، ص290.

[2] ابن الأثر، المصدر السابق، ج4، ص370.

3 مؤلف مجهول، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، ط1، مكتبة المثنى، د-ت، ج3، ص81-82.

4 على عبد الرحمن العمرو، **هشام ابن عبد الملك والدولة الأموية**، ط2، 1996م، ص23-24.

[5] أبي محمد عبد الله ابن قتيبة، **المعارف**، تح ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، د-ت، ص365.

يروى أن والده عبد الملك رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات فدسّ من يسأل سعيد ابن المسيّب، وكان سعيد يعبر الرؤيا، وكانت قد عظمت على عبد الملك، فقال سعيد: يملك من ولده لصلبه أربعة، فكان هشام آخرهم[1].

## 2. صفاته الخَلقية والخُلقية:

كان هشام ابن عبد الملك أبيض الوجه أحول سميناً طويلاً أكلف، يخضب بالسواد[2]، ويقول المسعودي: "كان هشام أحول خشناً فظاً غليظاً"[3]، ويقول عنه القلقشندي: "كان أبيض ربعة جميلاً سميناً منقلباً"[4] في حين يصفه البُردي فيقول: "كان جميل الصورة يخضب السواد وبعينيه حول مع كيس"[5].

ويقول عنه فلهزون: كان مظهره غير رائع، فقد كان احول شديد انقلاب العين[6].

أما عن صفاته الأخلاقية، فقد وصف بالتقوى وحسن السيرة والدين[7]، فكان مسلما حسن الاسلام، من طراز السلف الاولين، ولم يكن متعصبا على رعاياه المسيحين[8]، غزير العقل حليماً عفيفاً صالحاً، وقد أورد المسعودي رواية يثبت فيها صلاح هشام وتقواه فقال: "وحكى الهيثم بن عدي الطائي، عن عمرو بن هانئ، قال: خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أمية في أيام

---

[1] ابي عبد الله الزبيري، **نسب قريش**، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1119هـ، ص163-164.

[2] محمد ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، تح: احسان عباس، ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج4، ص238.

[3] المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط2، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 1990م، ج2، ص189.

[4] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص150.

[5] جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري البردي الأتباكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط1، دار الكتب، القاهرة مصر، ج1، ص296.

[6] فلهزون، **تاريخ الدولة العربية**، تر: حسين مؤنس، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1968م، ص334.

[7] ابراهيم زعرور، علي الأحمد، **تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري**، ط1، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1995م ص115.

[8] فلهزون، المصدر السابق، ص334.

أبي العباس السفاح فانتهينا إلى قبر هشام، فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه إلا خورمة أنفه فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطا تم أحرقه[1].

وذكر الهيثم بن عدي والمدائني وغيرها أن: السواس من بني أمية ثلاثة: معاوية، وعبد الملك وهشام، وختمت به أبواب السياسة وحسن السيرة[2].

كما وصف العديد من المؤرخين الخليفة هشام بالبخل وجمع المال، فقال ابن طباطبا: "كان هشام بخيلا شديد البخل إلا أنه كان حليماً عفيفاً"[3]، ويقول الكتبي: "كان يوصف بالحرص والبخل وجمع الأموال مالم يجمعه خليفة قبله"[4]، وقال عنه اليعقوبي: "وكان بخيلاً حسوداً فظاً غليظاً ظلوماً شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان"[5].

وقد ذكرت روايات على بخله فقيل أن رجلاً أهدى إليه طائرين فأعجب بهما، فقال له الرجل: أين جائزتي يا أمير المؤمنين؟ فقال له هشام: وما جائزة طائرين؟، فقال: ما شاء أمير المؤمنين، فقال له هشام: خذ أحدهما فقصد الرجل لأحسنهما فأخذه، فقال له هشام: وتختار أيضا؟، قال نعم والله أختار، فقال هشام: دعه وأمره بدرهميات[6].

ورواية اخرى تقول: بينما هو يوصي عقال بن شبة لما وجهه الى خُراسان، نظر هذا إلى قباء الخليفة مليا، فقال له هشام: مالك؟، قال: رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء من الفرو الأخضر فجلعت أتأمل هذا...، أهو ذلك أم غيره؟، فقال له هشام، هو والله الذي لا إله إلاّ هو ذاك، مالي قباء غيره، وأمّا ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فإنه لكم[7].

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص191.

[2] نفسه، ص194.

[3] محمد بن علي بن طباطبا، **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية**،ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان، ص132.

[4] الكتبي، المصدر السابق، ج4، ص238.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص393.

[6] المسعودي، المصدر السابق، ص193-194.

[7] عمر ابو النصر، **الايام الاخيرة للدولة الاموية**، ط1، المكتبة الاهلية، بيروت، لبنان، 1962م، ص151

يبدوا أن السبب الذي دفع الخليفة إلى البخل وشدة مراقبته للمال، وحساباته الدقيقة بالدرهم هو أنه كان يخشى على المال العام للدولة وحريصاً على مال المسلمين، فقد كان شديد المحاسبة للمشرفين على الديوان، ولذلك وصفه الشعراء والمؤرخين بالبخل، لأن الشعراء اعتادوا الهبات الكبيرة من ملوك بني أمية.

### 3: وفاته:

توفي الخليفة هشام بن عبد الملك بالرصافة[1]، لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة 125ه[2]، ولم يكن قد تقدم في السن كثيراً، فكان في وسط العقد الخامس من العمر[3]، بعد أن أصيب بمرض الذبحة[4].

قال الكتبي[5]: توفي بالرصافة من أرض قنسرين ليلة الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومئة وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام.

وذكر الازدي[6] رواية لعبد الله بن أحمد حنبل إنه قال: حدثني أبي قال: حدثنا إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال: توفي هشام لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وسبعة أشهر ونصف، وكان عمره أربع وخمسين سنة وكان مولده بالمدينة.

---

[1] **الرصافة:** رصافة الشام او رصافة هشام، تقع في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ وعلى طرف البريه، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها بالصيف. الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، ج3، ص47.

[2] ابن الاثير، المصدر السابق، ج4، ص465.

[3] فلهزون، المصدر السابق، ص334.

[4] ابن الاثير، المصدر السابق، ج4، ص465

[5] الكتبي، المصدر السابق، ج4، ص238

[6] ابي زكريا الازوي، **تاريخ الموصل**، تح علي حبيبة، ط13، د. د .ن، القاهرة، مصر، 1967م، ص50-51.

رواية اخرى يذكرها الكندي لعلي بن سعيد قال: "حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا ضمام قال: لما بلغ أبا قبيل موت هشام وضع يده على خده حزيناً وفرح الناس، فقيل له: قد تباشر الناس وأنت حزين؟ قال: اوشك ان يتمنّوا حياته"[1].

**ثانياً : هشام وولاية العهد:**

**1. علاقة هشام بن عبد الملك بالخليفة يزيد بن عبد الملك:**

كانت العلاقة بين الخليفة ويزيد بن عبد الملك واخاه وولي عهده هشام حسنة في غالب الاحيان، بحكم أن هشام كان مقيم بالرصافة بعيد عن مركز الخلافة دمشق على الرغم من أن الخليفة يزيد اظهر في كثير من المرات ندمه لأسناده ولاية العهد لأخيه هشام فقد سعي إلى مبايعة عبد العزيز بن الوليد بولاية العهد، إلاّ أن مسلمة بن عبد الملك منعه من ذلك، لأنه يريد أن تبقى الخلافة في ابناء عبد الملك، ولذلك لجأ يزيد الى مبايعة هشام بولاية العهد على أن يكون الوليد بن يزيد والياً ثانياً للعهد، خاصة وان الوليد كان صغيرا، وهذا ما أدى إلى ندم يزيد بعد ان بلغ ابنه فكان يلوم نفسه ويقول: لو انتظرت بلوغ ابني ولكن مسلمة لم يدعني، وكان يقول إذا رأى الوليد: الله بيني وبين من جعل هشام بيني وبينك[2].

وجاء عند المسعودي أنه حدثت خلافات بين الخليفة يزيد وولي عهده هشام، فقد ذكر:" أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه، ويتمنى موته... ويوشك أن يقدح ذلك في فساد ذات البين، وتقطع الأرحام، وأمير المؤمنين بفضله، وما جعله الله أهلا له، أولى أن يتغمد ذنوب أهل الذنوب، فأما أنا فمعاذ الله أستثقل حياتك، واستبطئ وفاتك" فكتب إليه يزيد نحن مغتفرون ما كان منك، ومكذبون ما بلغنا عنك، فاحفظ وصية عبد الملك إيانا، وقوله لنا في ترك التباغي والتخاذل، وما أمره به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتماع الأهواء فهو خير لك، وأملك بك، وإني لأكتب إليك وأنا أعلم أنك كما قال الأول:

---

[1] محمد بن يوسف الكندي، **كتاب الولاة وكتاب القضاء**، ط1، مطبعة الآبا اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1908م، ص23.

[2] المؤلف مجهول، **العيون والحقائق**، المصدر السابق، ج3، ص82، وعبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، مر سهيل زكار ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج3، ص101

وإني على أشياء منك تُريبُني قديماً لذو بصفح على ذاك يُحملُ
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتَني يمينك، فنظر أي كف تبّدلُ
وإن أنت لم تنصف أخاك وجدتَهُ على طرف الهرجان إن كان يُعقلُ

فلما أتى الكتاب هشاماً ارتحل إليه، فلم يزل في جواره مخافة أهل البغي والسعاية حتى مات يزيد"[1].

## 2- توليته للخلافة:

تطلع هشام بن عبد الملك للخلافة قبل أن يتولاها، وذلك عقب وفاة أخيه سليمان بن عبد الملك، وكان له آنذاك حوالي سبع وعشرين سنة[2]، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز كان هشام من أبرز المعارضين لخلافته، وقد طلبها لنفسه، وهذا ما ذكره الطبري فقال: "إن سليمان استخلف عمر بن عبد العزيز، وكتب كتاباً يذكر فيه توليته لعمر وأمر فيه بمبايعته وأرسل الكتاب مع رجاء بن حسيوة إلى صاحب شرطته كعب بن حامد العبسي وأمره أن يجمع أهل بيته فيأمره على مبايعة عمر، ففعلوا ذلك وبايعوه رجلاً رجلاً، فلما تفرقوا جاءه هشام بن عبد الملك، قال رجاء: لقيني هشام بن عبد الملك فقال: يا رجاء إن لي بك حرمة ومودّة قديمة وعندي شكر، فأعلمني هذا الأمر، فإن كان إليّ علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت فليس مثلي قصر به، فأعلمني فلك الله على ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً، قال رجاء: فأبيت فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرّ إليّ، قال: فانصرف هشام وهو قد يئس، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذاً نحيّت عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟"[3].

[1] المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص186-187.
[2] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق ، ص28.
[3] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص551-550.

هذه الرواية دلالة واضحة على أن هشام طلب الخلافة لنفسه، إلاّ أنه حمل على البيعة بالقوة وبعد التهديد بقطع عنقه[1]، وقد مرت فترة خلافة عمر بن عبد العزيز دون أن يتحقق لهشام شيء من حلمه بالخلافة.

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك، عين هشام والياً للعهد، وقد استمرت خلافة يزيد أربع سنوات وتوفي في شعبان سنة (105هـ)[2]، وبوفاته تولى هشام الخلافة، وكان قد استخلف وعمره (34سنة)[3]، وكان حين مات أخيه يزيد مقيماً بالرصافة، فجاءه البريد ببشارتي الخلافة (العصا والخاتم) وسلم إليه فركب من الرصافة وأتى دمشق، وذلك في أول رمضان من سنة (105هـ)[4]، وهناك من يرى أن الخلافة كانت في الخمس الباقين من شعبان[5].

وقيل أنه لما تسلم الخلافة سجد لله شكراً، ورفع رأسه فوجد الأبرش الكلبي واقفاً، فقال: مالك لا تسجد معي؟ فقال: يا أمير المؤمنين رأيتك وقد رفعت إلى السماء وأنا مخلد إلى الأرض فقال: أرأيتك إن رفعتك معي أتسجد؟، قال: الآن طاب السجود وسجد، فأمر له بالإحسان الكثير وأن يكون جليسه طوال مدته، وعوتب في شأنه وقيل له: ما تجالس من هذا الأبرش؟ فقال: حضي منه عقله لا وجهه[6].

أقام الخليفة هشام بعد توليته الخلافة بالرصافة، فكان يحبّب السكن فيها لطيب هوائها وبعدها عن وباء الطاعون الذي حلّ بالشام، وابتنى فيها قصرين ونزلهما، ومن هناك نسبت إليه فقيل رصافة هشام، وقد اختار نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم[7]، وقد فرح الناس كثيراً باستخلافه لما عرف عنه من عقل وحكمة ونبذ الدماء والقتل والرأي السديد.

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص552.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص106. وابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص367.

[3] البردي، المصدر السابق، ج1، ص296.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق ، ج3، ص 106. وابن الاثير، المصدر السابق، ج4، ص370.

[5] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص150. وابن الكثير، المصدر السابق، ج9، ص290.

[6] الكتبي، المصدر السابق ، ج4، ص239.

[7] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص151.

لقد اختلف المؤرخين في تحديد مدة خلافته، واختلافهم يتركز في الايام والشهور، أما عن السنة فالكل يتفق عليها وهي تسع عشرة سنة، والأرجح ان مدة خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر واحد عشر يوما، على اعتبار أن خلافته بدأت يوم وفاة اخيه يزيد بن عبد الملك في25 من شعبان سنة (105ه)، حيث أن هشام ولي عهده ووريثه الشرعي .

مثلت خلافة يزيد بن عبد الملك مرحلة دقيقة في تاريخ الدولة الأموية، فقد رسمت خط النهاية لهذه الدولة، ذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك، الذي بويع له بعد وفاة أخيه، كان عاجزاً عن القيام بإصلاح ما فسد وترميم ما إنهار، وإيقاف عجلة التدهور، فقد أصبح الأمر فوق طاقته وخرج عن إرادته بالرغم من إنصافه بالحزم وحسن الادارة والتدبير، وبالرغم من الجهود التي بذلها للحفاظ على وحدة الدولة وترميم الحكم الأموي، ولكنه استطاع استرداد حيوية الخلافة الاموية من جديد.

# الفصل الثاني

# الأوضاع السياسية للدولة في عهد هشام

**أولا: الأوضاع الداخلية والخارجية**

1. ولاية الأمصار في خلافته
2. الحركات والثورات

**ثانيا: إنجازات هشام السياسية والعسكرية**

1. التنظيم الإداري والعسكري
2. الفتوحات الإسلامية في عهد هشام

بلغت الدولة الإسلامية في عهد الخلفية هشام اقضى اتساع لها وهذه المساحات ضمت ملايين البشر من مختلف الأجناس ومتعددي المذاهب والاتجاهات، فمنهم من دخل في الطاعة مرغما، ومنهم اعتنق الإسلام خوفا أو طمعا، وهذا سيجعل الدولة تواجه الكثير من الحركات والاضطرابات، فقد كانت الأمور غير مستقرة كما ينبغي في كثير من الولايات، فقد تعددت الحركات والثغرات إلى جانب الحروب التي شهدتها الدول المجاورة على الكثير من الجهات.

## أولاً: الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة

### 1. ولاية الأمصار في خلافته:

كانت الولايات أيام هشام بن عبد الملك هادئة بصورة عامة، سوى بعض الحركات والثورات في العراق والكوفة وغيرها، وبعد أن استحكم أمر الخلافة لهشام، أجرى تغيرات على مستوى الولايات التابعة للدولة، وهذه الخطوة غاية في الأهمية، لما لها مصلحة في تحسين أوضاع الدولة الداخلية، فقد كان الولاة يشرفون على سير البلاد مشرقاً ومغرباً ويراقبون أعمالها، وذلك لأنهم الأقرب لتلك الأقطار من الخلفاء الأمويين الذين كانوا يتخذون مراكزهم في الشام.

أ. **العراق:** كان ولاة العراق يشرفون على سير البلاد الشرقية، فكانوا يتمتعون بسلطان واسع يمتد من الفرات إلى حدود الصين، وكانت لهم صلاحيات إرسال عمال إلى البلاد الشرقية فقد كانت جلّ مراسلات أولئك العمال مع والي العراق، فلما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة كان عمر بن هبيرة والياً على العراق، ففتح عهده بعزل هذا الأخير، وتوليه خالد بن عبد الله القسري[1]، لما يتصف به من كفاءة وتجربة طويلة في الإدارة[2] .

"بقي خالد القسري والياً على العراق خمسة عشر سنة، كرس خلالها جهوده لتطور الأقاليم خاصة من الناحية الزراعية، كما اهتم بالإدارة والسجلات، ولكنه استخدم أقاربه من آل القسري

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص370.

[2] أزهار هادي فاضل، **سياسة تعيين ولاة العراق في العصر الأموي**، المكتب العربي للمعارف، ص126.

من قبيلة بجيلة في الإدارة، وعلى رأسهم أخيه أسد بن عبد الله القسري والي خرسان وكان خالد القسري متحالفاْ مع اليمانية، وتقاضي على أفعال عديدة كانوا يقومون بها"[1].

"ويقال في سبب تعيين خالد على العراق أنه هو الذي نصح يزيد الخليفة السابق أن لا يبايع بولاية العهد لابنه الوليد مخافة أن تقع العداوة والشر بين العائلة المالكة، ويجد الناس سبيلاْ إلى الطعن فيهم والاختلاف عليهم، وأن يترك الولاية لهشام ثم للوليد من بعده."[2]

كثر المعارضون والناقمون على خالد القسري بسبب العصبية القبيلة لبني جلدته اليمانيين وهذا ما أثار غضب القيسيون، واتهموا حكمه بأنه حكماً استبدادياً استغلالياً قسم خيراته بين أهله وأصدقائه، الأمر الذي دفع بالخليفة هشام إلى عزله سنة (29ه/738م)[3]، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقافي، وكان عاملاً على اليمن.

"ولا ريب أن تبديل خالد بيوسف بن عمر كان له أثر كبير في العراق، ذلك أن خالداً كان قد أمسك العراق بدهائه وحكمته، فمنع الثورات والقلاقل، وأخذ الناس يعملون، ولئن كان في سياسته القبلية غير موفق كل التوفيق إلا أن الخصام لم يجد في عهده مجالاْ للظهور أما يوسف بن عمر فعلى تقاه لم يكن حليماْ ولا حكيماً بل رويت عنه أخبار في الحمق كثيرة، وكان إلى جانب ذلك البطش والقوة[4] وبقي يوسف بن عمر والياً على العراق لحين خلافة يزيد بن عبد الملك [5].

ب. **الحجاز:** كانت إمارات الحجاز كلها مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، بيد عبد الواحد بن عبد الله النضري، ثم إن هشام بن عبد الملك قد عزله عن الحجاز وأعطاها لخاله إبراهيم بن هاشم بن إسماعيل المخزومي عام (106ه)، وفي عام (144ه) عاد فعزل خاله إبراهيم بن هشام الحجاز، وأمر خاله محمد بن هشام بن إسماعيل على مكة المكرمة، بينما أعطى أمر المدنية إلى

---

[1] فارق عمر فوزي، **الخلافة الأموية دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام**، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن، 2009م، ص121.

[2] عمر أبو النصر، المرجع السابق، ص130.

[3] فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص121.

[4] يوسف العش، **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان**، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا 1985م، ص289.

[5] أزهار هادي الفاضل، المرجع السابق، ص131.

خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، ثم عاد فعزله خالد عن المدينة وضمها إلى محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي عام (118ه).[1]

ج. **الخراسان:** كانت خراسان مرتبطة بولاية العراق معظم فترة حكم الخليفة هشام بن عبد الملك، وقد ولي خالد بن عبد الله أخاه أسد بن عبد الله القسري، بعد أن عزل أميرها السابق مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة، وأثناء حكم هشام قام بعزله سنة (108ه)[2]، وولى أشرس بن عبد الله السلمي، وكان هذا الأخير فاضلاً، ورضي به الخُراسانيون وأعجبوا بسياسته وإدارته، وفي سنة (113ه) عزله الخليفة هشام، وولى الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث، ويعود سبب عزله إلى نتائج حروبه مع الترك[3].

كان الجنيد بن عبد الرحمن قبل توليته خراسان أميراً على السند، حيث كتب الخليفة هشام بن عبد الملك إلى الجنيد بن عبد الرحمن يأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري والي العراق ففعل وعظم أمر الجنيد ببلاد السند[4]، وقد استعمله هشام سنة (112ه) على خراسان فحارب الترك وهزمهم، وظفر بابن خاقان ملك الترك، فبعث به إلى الخليفة هشام ولم يزل يقاتل الترك حتى دوخهم ثم عزله سنة( 115ه)،وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي ثم جمعت لخالد بن عبد الله الثانية، فولى أخاه أسد ابن عبد الله، فمات أسد سنة (120ه) قبل عزل خالد بقليل واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني، ثم ولّي الخليفة نصر بن سيار فلم يزل وَالياً حتى مات الخليفة[5].

**د. الموصل:** ولّي الخليفة هشام عام( 105ه) مروان بن محمد علي الموصل، ثم ولّاها الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص عام( 108ه)، وبعد أن عزله عن ولاية مصر واستمر

[1] علي محمد صلابي، المرجع السابق، ص441.
[2] مجدي فتحي السيد، **تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي**، ط1، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، 1998م، ص265.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص110.
[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص379.
[5] مجدي فتحي السيد، المرجع السابق، ص265.

على ولاية الموصل حتى وفاته عام (113ه)، ثم عين هشام الوليد بن تليد العبسي، وفي (122ه) أبى قحافة المزني أحد أقارب الوليد على الوصل وبقي على ولايته إلى موت هشام[1].

**ه. مصر**: كان على مصر في بداية خلافة هشام سنة(105ه) أخوه محمد بن عبد الملك بعد أن عزل حنظله بن صفوان، وكان محمدا ناسكاً كثير العبادة حسن السيرة جواداً، ولكنه تركها بعد شهور من ولايته، بسبب وباء وقع بمصر[2]، فصرف على ولايتها وولي الحر بن يوسف بن يحيى بن حكم سنة(106ه)، وبني قيسارية هشام بعد استئذانه، وفي عهده ثار الأقباط وبقي في ولاية مصر ثلاث سنوات[3]، ثم اعفي من منصبه وعين حفص بن الوليد، و لم تطل مدته على ولاية مصر وعزل بعد جمعتين سنة(108ه) ويرجع سبب ذلك، شكاية تقدم بها عبد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر على حفص بن الوليد[4]، للخليفة هشام بن عبد الملك فعزله وعين بدالة عنه الوليد بن رفاعة، واستمر على إمارة مصر مدة 9سنين و5 أشهر إلى أن مرض ولزم الفراش حتى مات سنة (117ه)[5]، واستخلف الوليد قبيل وفاته عبد الرحمن ابن خالد بن مسافر صاحب شرطته، واقره الخليفة هشام على ولاية مصر.

كان عبد الرحمن ابن خالد ليناً فشكاه أهل مصر إلى الخليفة فعزله، وأعاد إلى الإمارة حنظلة بن صفوان الكلبي للمرة الثانية، وذلك سنة(119ه)، وبقي فيها حتى أرسله هشام إلى إفريقية عام (124ه) بعد مقتل كلثوم ابن عياض القشيري، وولي مكانه حفص بن الوليد الحضرمي واستمر حتى بعد هشام بن عبد الملك أياماً[6].

**و. أرمينية وأذربيجان**: كانت أرمينية وأذربيجان ولاية واحدة، وأحيانا تضم إليها الجزيرة كما حصل عندما عين الخليفة هشام بن عبد الملك ابن عمه مروان بن محمد والياً على أرمينية وأذربيجان والجزيرة، وكان على أرمينية وأذربيجان الأيام الأولى من خلافة هشام، الجراح بن عبد الله الحكمي فأقرّه هشام عليها، ثم عزله في سنة (107ه)، وولّي مكانه شقيقه مسلمة بن عبد

[1] محمد صلابي، المرجع السابق، ج2، ص441.
[2] البردي، المصدر السابق، ج1، ص257.
[3] علي عبد الرحمان العمرو، المرجع السابق، ص131.
[4] تغري البردي، المصدر السابق، ج1، ص264.
[5] علي عبد الرحمان العمرو، المرجع السابق، ص132-133.
[6] محمد صلابي، المرجع السابق، ج2، ص141.

الملك ثم عزله، وأرجع الجراح الحكمي للمرة الثانية، وقتل سنة( 112ه)، فوّلاها سعيد بن عمرو الحرشي ثم عزله سنة (113ه) وولّى أخاه مسلمة بن عبد الملك للمرة الثانية[1].

قدم مروان بن محمد إلى الخليفة هشام بن عبد الملك سنة( 114ه)، يشكوه أخاه مسلمة بن عبد الملك، بأنه لم يعمل شيئاً مما يجب عليه مع العدو، فقد جرت معارك مع الجزر راح ضحيتها الجراح الحكمي، واستمرت حروبهم إلى إمارة مسلمة بن عبد الملك، هذا الأخير لم يحدث انتصارات تُذكر سوى قتاله مع الترك، الأمر الذي دفع مروان بن محمد إلى تقديم شكاية للخليفة هشام، وطلب منه أن يسند إليه ولاية أرمينية وأذربيجان، وأن يمده بمائة وعشرين ألف جندي وتعهد أن يقضي بهم على الخزر، والترك قضائاً تاماً[2]، فأجابه الخليفة هشام إلى طلبه وعزل مسلمة وولّى مروان الإمارة.

ي. **افريقيا والأندلس:** كان على ولاية إفريقيا والأندلس بشر بن صفوان منذ أيام خلافة يزيد بن الوليد، وحين تولى هشام بن عبد الملك الخلافة أقرّه عليها، وقد غزى صقلية وحقق انتصاراً باهراً، ودامت ولايته7سنوات[3]، وبعد وفاته بقي نائبه على القيروان نعاس بن قرط الكلبي ثم عين عبيدة بن عبد الرحمن السلمي سنة( 110ه)[4]، وكانت ولايته أربع سنوات واستخلفه عقبة بن قدامة، و لم يدم طويلاً في الإمارة حتى عزل وولى مكانه عبيد الله ابن الحبحاب.

وكان عبد الله ابن الحبحاب والياً على مصر فاستخلف عليها ولده[5]، وقام إلى إفريقية سنة (116ه)، وحقق فيها عدة انتصارات ومكاسب كبيرة، إلى أن الأمور تفاقمت ، وثار البربر في المغرب، وقويت شوكتهم واختلت أحوال إمارته، فاجتمع الناس عليه وعزلوه[6]، وبلغ ذلك الخليفة هشام، فأرسل إليه يأمره بالحضور، وعين بداله كلثوم بن عياض واليا على إفريقية سنة(123ه)،

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص406.

[2] علي عبد الرحمان العمرو، المرجع السابق، ص113.

[3] ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان ، 1983م، ص49.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص241.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص416.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص54.

و لم يدم طويلا في الإمارة حوالي سنة واحدة فقط حيث قتل في قتاله مع البربر[1]، فبعث الخليفة هشام بحنظلة بن صفوان الكلبي والياً على إفريقيا والأندلس، وكان قبل ذلك أميراً على مصر فوصل إفريقيا سنة (124ه)، و لم يكن بها إلا أسيراً حتى زحف إليه عكاشة الصفوي الخارج في جمع عظيم من البربر، وكذلك زحف عبد الواحد بن يزيد الهواري معاونا لعكاشة[2] ودارت معارك طاحنة بين جيش حنظّلة، وجيوش الثوّار، وانتصر فيها حنظّلة وقتل من البربر مالا يحصى، فسرّ لذلك الخليفة هشام سروراً عظيماً.

أما الأندلس فهي تابعة لوالي إفريقيا وكان عليها عندما تولى الخلافة هشام عنبسة بن سحيم الكلبي، واستمر على ولايتها أربع سنوات وثمانية أشهر، وبعد وفاته تولى أمر الأندلس يحي بن سلمة الكلبي سنة (107ه)[3]، ثم تعاقب على ولايتها عدد من الولاة منهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي استشهد في المعركة المشهورة بلاط الشهداء سنة (114ه - 732م)[4] ، وولّي مكانه عبد الملك بن قطن الفهري أربع سنوات، ثم وليها عقبة بن الحجاج خمس سنين، ثم وليها بلخُ بن بشر القيسى، ثم وليها حُسام بن ضرار الكلبيّ ، فأقام بها إلى أيام الوليد بن يزيد[5].

## 2. الحركات والثورات:

واجهت الدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك كثيراً من الحركات والثورات، ويعود ذلك فيما يبدو إلى سعة رقعة الدولة، وانشغال كثير من الولاة في حروب خارجية مع الدول المجاورة في الكثير من الجهات، إلى جانب شدة بعض ولاة الأقاليم في تعاملهم مع شعوب الأقاليم كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى وقوع هده الحركات والثورات والتي من أهمها:

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص242.
[2] ابن تغري البردي، المصدر السابق، ج1، ص295-296.
[3] علي عبد الرحمان العمرو، المرجع السابق، ص124.
[4] أشرف طه أبو الدهب، **المعجم الاسلامي**، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2003م، ص398.
[5] القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص156.

أ. حركات الخوارج :

قبل أن نتطرق لحركات الخوارج إبّان خلافة هشام، يجب أن نمر مرور الكرام وبإيجاز، على تعريف بالخوارج ونشأتهم وحركاتهم مع الدولة الأموية قبل عهد هشام بن عبد الملك.

– **ظهور الخوارج** : ظهرت حركة الخوارج إبان العقود الأولى التي أعقبت وفاة (ﷺ) وذلك في فترة الصراعات بين القوى السياسية آنذاك، وهم تحديدا تلكم الشريحة التي خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) لما اختلفوا معه في قضية التحكيم، في معركة صفين (37هـ)[1]، ويعرفهم الشهرستاني بأنهم: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان "[2].

وقد أطلق على الخوارج العديد من الألقاب والأسماء، فسمو بالخوارج لأنهم خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب وان كان بعض أنصار مذهبهم يزعم أن اسم الخوارج مشتق من قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[3]، وسمو حرورية لأنهم خرجوا بمكان يقال له حروراء، وسموا الشراة لأنهم باعوا أنفسهم لله، وقالوا شرينا أنفسنا في طاعة الله مصداقا لقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾[4]، وسموا المحكّمة لأنهم أنكروا حكم الحكمين، عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وقالوا لا حكم إلا بالله.

---

[1] **الصفين:** موضع يقع على شاطئ الفرات بالقرب من الرقة، وذلك في الجانب الغربي الواقع بين الرقة والبالس، ودارت فيه معركة تاريخية بين الإمام علي بن أبي طالب في مئة وعشرين ألفا، ومعاوية بن أبي سفيان في تسعين ألفا، وقتل معه 25صحابيا من اهل بدر بينما بلغت مدة الإقامة بصفين مئة وعشرة أيام، جرت فيهن تسعون وقعة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص414. وابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج1، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1986م، ص211.

[2] الشهرستاني ، المصدر السابق، ص114.

[3] سورة النساء، آية 100.

[4] سورة البقرة، آية 207.

وتجتمع آراء الخوارج على أمور، وتختلف على أخرى، لكن ما يجمعهم هو إكفار علي وعثمان، وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وخروج عن السلطان الجائر، فضلا عن إكفار كل ذي ذنب ومعصية، عدا النجدات فإنهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة، ولقد افترقت الخوارج إلى نحو عشرين فرقة من أبرزها، المحكّمة، الأزارقة، النجدات، الصفرية، والعجارة والإباضية[1].

– **الخوارج والدولة الأموية:** بعد قيام الدولة الأموية سنة(41ه) قوية شوكة الخوارج وقاوموا مؤسسها معاوية بن أبي سفيان بشدة، فقد كانوا رافضين تماماً لخلافته وأسسها الشرعية لإعتقادهم أنه لم يصل للسلطة بإجماع المسلمين، وكانت مراكز قواهم غالباً ما تركزت في الكوفة والبصرة، وقد جرت مناوشات عدة بينهم تصدى فيها معاوية ابن أبي سفيان بكل ما يملك لقائدهم فروة بن نوفل، وتبع في ذلك سياسة حكيمة جرّد لهم فيها جيشاً قوياً وهدد أهل الكوفة بجملته الشهيرة (لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم)[2]، كما ركز على محاربة البيئة الحاضنة بهؤلاء المتطرفين، وقد رضخ أهل الكوفة له، ولكن هذا لم يمنع من ظهور موجة ثانية منهم بقيادة حيان بن ظبيان فواجههم والي معاوية المغيرة ابن شعبة وهزمهم.

عانت الدولة الأموية معاناة شديدة من الخوارج لاستمرارهم في مقاومة سلطة الأمويين خاصة عندما تحالف الخوارج مع عبد الله بن الزبير الذي أعلن خلافته الإسلامية في المدينة وكاد يعصف بالدولة الأموية تماماً، لولا حنكة مروان ابن الحكم وعبد الملك ابن مروان من بعده، هذا الأخير تمكن من القضاء على عبد الله ابن الزبير وأخاه مصعب ابن الزبير[3]، واستعمل لمواجهتهم عسكرياً شخصيتين عظيمتين هما: المهلب بن ابي سفرة والحجاج بن يوسف الثقفي.

ثار الخوارج مرة أخرى في عهد عمر بن عبد العزيز، ولم يستعمل معهم العنف بل تأنى في قتالهم وفتح باب الخلاف معهم، واستمالهم بالحجة فغلبهم بأخلاقه وعمله، وانصاع كثير منهم للحق، وقد ساهمت هذه الحوارات في تهدئة ثورتهم، وفي خلافة يزيد بن عبد الملك بدأت الحرب

[1] الشهرستاني، المصدر السابق، ص106-107.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص275.
[3] نفسه، ج4، ص 121- 122.

مع الخوارج بقيادة شوذب[1]، وكبد أهل الكوفة خسائر فادحة فأرسل الخليفة يزيد أخاه مسلمة على رأس جيش تمكن من تقليم أضافر الخوارج وقتل شوذب.

– **الخوارج في عهد هشام:** استمرت الأمور بين المد والجزر بين الخوارج والدولة الأموية حتى جاء عهد هشام بن عبد الملك، ولم يكن الخوارج في مستوى عنفهم السابق لكن لم تتوقف ثوراتهم ضد بني أمية، وقد واجه هشام عددا منها في اليمن و خراسان والعراق وشمال إفريقيا، ففي سنة(107هـ)، خرج عباد الرعيني باليمن ومعه ثلاثمائة رجل من أصحابه، فقتله أمير اليمن آنذاك يوسف بن عمر الثقفي، وقتل جميع أصحابه[2].

وفي خرسان قامت حركتان للخوارج: أولاها بقيادة صبيح الخارجي، وكان غلام واشتراه سوار بن الأشعر المازني من سبي الأزارقة، ولما بلغ أشده اعتقه وكان يرى رأي الخوارج فخرج يوماً في حاجة لسوار وسار إلى هراة[3]، وأغار عل آبل لبني سعد، وقتل رجالا فأتى السعديون لضرار ابن هلقام، عامل الجنيد بن عبد الرحمان في خرسان يشكوه فعل الخارجي فخرج ضرار في جمع كثير ولقي الصبيح بأربعمائة فئة من أصحابه فقتلهم جميعا، وفر الصبيح الى خرسان فقبض عليه وتم أسره وقضي عليه بعدها[4].

أما الحركة الثانية، فكانت بقيادة خالد الخارجي الذي خرج بنواحي بوشنج[5]، وهراة وانظم إليه جمع عظيم ومضى إلى مرو الروذ[6]، وكان عليها ضرار بن هلقان عامل الهراة، فخرج إليهم ومعه الوجوه والأشراف والموالي، وحدث الصراع تم فيه اسر ضرار ثم قتله ومن بقي معه من أصحابه أما زعيم الخوارج خالد فمات متأثرا بجراحه[7]، وبعد موته تفرق أصحابه.

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق،ج4، ص317.

[2] علي عبد الرحمان العمرو، المرجع السابق، ص140.

[3] هراة: مدينة تابعة لإمارة خرّسان، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص396.

[4] المؤلف مجهول، العيون والحدائق، المصدر السابق، ج3، ص108.

[5] **بوشنج:** بلدة بنواحي هرات. الحموي، المصدر السابق، ج2، ص304.

[6] **مرو الروذ:** مدينة قرب مرو قصبة خرسان. الحموي، نفسه، ص508-509.

[7] المؤلف مجهول، العيون والحدائق، المصدر السابق، ج3، ص109.

وفي العراق خرج بهلول بن بشر من بني شيبان بن موسى، وقتل عامل أحد قرى السواد وسار إليه والي العراق خالد القصري وطلب من جند الشام المتجهين الى ثغر الهند مساعدته في القضاء على بهلول، تمكن بهلول من هزيمتهم وردهم إلى الكوفة فاشتد نفوذ بهلول وسار إلى الموصل، وطلب عاملها المدد من الخليفة هشام فأرسل اليه بعض ولاة العراق مساعدته، ودار القتال بين الطرفين ولقي بهلول مصرعه[1].

بعد اخماد حركة بهلول بن بشير والقضاء عليه، خرج في نفس السنة على الخليفة هشام اثنين من الخوارج أولها عمرو اليشكري، لم يلبث أن قتل، ثم خرج العتزي صاحب الأشهب في نواحي الفرات قرب الكوفة، وجه اليه هشام جيشاً فلم يظفر به، إلاّ أن الجيش الأموي ضغط عليه وعلى قومه فانهزموا وتلقاهم عبيد أهل الكوفة وقوم من أهلها ورموهم بالحجارة حتى قتلوهم[2].

وفي سنة(119ه) خرج الصحابي بن شبيب بن يزيد بناحية جبل[3]، وكان بها نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة، فدعاهم إلى الخروج معه، فتبعه منهم ثلاثون رجلا، وخرج بهم، فبلغ خبره أمير العراق خالد القسري، فوجه إليه جُندا فلقوه بناحية المناذر[4]، فقاتلهم قتالا شديدا فقتلوه وجميع أصحابه[5].

وخرج أيضا في أيام هشام تسعة عشر رجلا ومعهم امرأة بمكان يدعى موقوع بناحية البصرة، وكان أمير البصرة آنذاك القاسم بن محمد الثقفي أثناء ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق سنة(119هـ - 125ه)[6]، وقد أرسل إليهم القاسم بن محمد الثقفي جيشاً قضى عليهم وأسرت المرأة، فلمّا قدم بها على القاسم وهو على البصرة، أرسل بها إلى يوسف بن عمر فقتلهم[7].

---

[1] عبد الحميد حسين حمود، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية**، ط1، دار الثقافة، 2005م، ص320.

[2] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص144.

[3] **جبل**: بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها ولام، وهي بلدة صغيرة بين النعمانية و واسط في الجانب الشرقي، الحموي، المصدر السابق، ج2، ص103.

[4] **المناذر**: بلدة بنواحي خوزستان. الحموي، المصدر السابق، ج 5ص 199.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص432.

[6] الازوي، المصدر السابق، ص39.

[7] مؤلف مجهول، العيون والحدائق، المصدر السابق، ج3، ص109

رغم تعدد حركات الخوارج والثورات التي قام بها ضد الدولة الأموية خلال هذا العصر، إلا أنها لم تشكل خطراً كبيراً إلاّ على الولايات التي قامت بها ولا على الدولة الأموية بصفة عامة ويرجع سبب فشلهم إلى أنهم كانوا يخرجون في أعداد قليلة وفي أوقات متفرقة، وكذا تفرقهم إلى فرق متعددة، مما أدى إلى ضعفهم وتفتت وحدتهم، الأمر الذي سهل على الخلفاء الأمويين القضاء عليهم.

**ب. حركات الشيعة:**

ما يوجب علينا قبل أن نخوض في حركات شعبية خلال عهد هشام، عرض التاريخ السياسي الموجز للشيعة منذ وفاة الرسول (ﷺ) إلى غاية عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، ليستقيم لنا البحث وتتصل الأحداث التاريخية زمنياً مع بعضها البعض، وهذا ما يسهل علينا وعلى المطلع على البحث الفهم الجيد للسيرورة التاريخية للشيعة منذ ظهورها إلى غاية عهد الدولة الأموية.

– **ظهور الشيعة:** هناك آراء متعددة حول نشأة الشيعة، فمنهم من يرى أن نشأت الشيعة كان في زمن الرسول (ﷺ) ومنهم من يقول بعد وفاته يوم انعقاد السقيفة، حيث اجتمع عدد بارز من الصحابة في بيت علي ابن أبي طالب(رضي الله عنه) فكان ذلك الاجتماع أول تشع ظهر حول علي وأهل بيته، إذ ظهر اتجاه يقول بأحقية بني هشام للخلافة، وأنهم أقرب القريشين للرسول(ﷺ) في حين يقول آخرون أن التشيع بدأ في حياة عفان رضي الله عنه(رضي الله عنه) وبعد استشهاده.

ويرى آخرون أن التشيع ظهر إثر موقعة صفين ولجوء الفريقين إلى التحكيم، فظهر التشيع بوصفه مذهباً سياسياً، ومن المؤرخين من يقول أن بداية الشيعة كانت بعد استشهاد الحسين (رضي الله عنه)، فقد خرج على خلافة يزيد ابن معاوية، واتجه إلى العراق بعد أن دعاه فربق من أهلها ووعدوه بالنصرة ولكنهم تخلوا عنه وانتهى الأمر باستشهاده في موقعة كربلاء المشهورة[1]، فظهر التوابون وقرروا التكفير عن ذنوبهم، وسمو هذه الطائفة بالشيعة .

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص27– 30.

لا زالت هناك آراء أخرى حول التاريخ ظهور الشيعة يطول الحديث عنها ولا مجال لنا هنا لذكرها جميعها، فما يهمنا هو حركاتهم ضد بنى أمية بصفة عامة والخليفة هشام بصفة خاصة.

– **الشيعة والدولة الأموية:** لقد قاوم الشيعة الأمويين دفاعاً منهم عن حق علي رضي الله عنه بالخلافة ثم انتقاماْ لابنه الحسين رضي الله عنه، وكانت حركاتهم بدابة بالكوفة لتمتد على مساحة كبيرة من البلاد الإسلامية ففي أثناء الخلاف بين علي ومعاوية بن أبي سفيان انقسمت الأمصار الإسلامية إلى معسكرين، معسكر العراق وهم شيعة علي، ومعسكر الشام وهم شيعة معاوية ولما قتل علي رضي الله عنه، واستقل معاوية بالخلافة ودانت الأمصار الإسلامية له، ظل العراق عامة والكوفة خاصة شيعي، ولكن بالقول والكلام بالعمل والسيف إلا قليلا[1].

وفي خلافة يزيد بن معاوية خرج عليه الحسين بن علي رضي الله عنهما حين دعوه أهل الكوفة، وشجعوه على الخروج ضد بني أمية ووعدوه بالمناصرة والمؤازرة[2]، ولكنهم قعدوا عنه وخذلوه وانتهى الأمر باستشهاده مع رفاقه وكثير منم أسرته وأهل بيته في موقعه كربلاء، فندمت المجموعة التي قامت باستدعائه حيث تلاقت الشيعة بالتلاؤم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطاً كبيراً بدعائهم الحسين رضي الله عنه إلى النصرة وتركهم إجابته ومقتله، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله، إلاّ بقتل من قتله أو القتل فيه.

وبعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية خرج المختار الثقفي بالكوفة سنة(66ه[3])، وكان عليها عبد الله ابن الزبير، وأخذ يدعوا باسم محمد بن علي المعروف بابن الحنفية، وتظاهر أنه يقاتل من أجل الأخذ بثأر الحسين بن علي فما زال يراسل أصحابه و يبايع الناس حتى قوى أمره واشتد حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم ابن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مطيع على عاملهما إلى الكوفة[4]، وقد جرت بين يزيد المختار الثقفي وبين الجيش الأموي معركة على نهر

[1] عمر أبو النصر، المرجع السابق، ص147-148.
[2] الدينوري، المصدر السابق، ص231- 233.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق ، ج 4، ص27-28.
[4] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص9-10.

الخازر بين أربيل والموصل، قتل فيها قائد الجيش الأموي عبيد الله بن زياد سنة (67ه)[1]، وقتل كثير من أشراف الشام وتتبع المختار قتلة الحسين.

انتهت حركة المختار على يد مصعب ابن الزبير والي العراق، حين التقى الجيشان بالمدائن ولحقت هزيمة بالمختار وأتباعه وذلك بنفس السنة التي انتصر فيها على عبيد الله بن زياد، وبذلك استولى مصعب على الكوفة وعاد العراق إلى نفوذ عبد الله ابن الزبـــير.

- **الشيعة في عهد هشام:** لما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة، عامل العلويين معاملة حسنة تُماثل

معاملة من سبقوه، وكانوا يعيشون عيشة هادئة بعيدة عن العنف وإثارة القلاقل[2]، إلى أن جاءت سنة (121ه)، التي ثار فيها الشيعيون من جديد بقيادة زيد بن علي بالكوفة .

وزيد بن علي هو: ابن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهو بذلك ينتسب من قبل أبيه إلى علي بن أبي طالب، وكان يكنى أبا الحسين، ولد سنة 78ه ونشأ بالمدينة وترعرع فيها[3]، وكان زيد من عظماء أهل البيت عليهم السلام، علماً وزهداً وورعاً وشجاعة وديناً وكرماً، وكان دائماً يحدث نفسه بالخلافة ويرى أنه أهل لذلك[4].

أما عن سبب خروجه على الخليفة هشام فقد تعددت الآراء واختلفت الروايات حوله فقيل: إن يوسف ابن عمر والي العراق كتب للخليفة في أمير العراق خالد القصري على أنه شيعة لأهل البيت، وأنه ابتاع من زيد ابن علي أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ورد عليه الأمن، وأنه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مالا، فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة[5]، فكتب

[1] الطبري، المصدر السابق، ج6، ص 86-92.
[2] علي عبد الله الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص157.
[3] الصلابي، المرجع السابق، ج2، ص448.
[4] ابن طقطقا، المصدر السابق، ص132.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق ، ج3، ص122.

الخليفة هشام إلى أمير المدينة أن يسيرهم إليه ففعل وحضروا بين يدي الخليفة، فسألهم عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سواها، فصدقهم الخليفة وأمرهم بالمسير إلى العراق ليقابلوا خالداً فقابلوه وصدقهم ثم عادوا نحوى المدينة فنزلوا القادسية وراسل أهل الكوفة زيداً فعاد إليهم[1].

وقيل أن خالد القصري ادعى أنه أودع زيداً، وداود بن علي ونفراً من قريش مالاً، فكتب يوسف بن عمر بذلك للخليفة، فأحضر هشام زيداً إلى المدينة، وبعث به إلى يوسف بالكوفة فاستحلفه ما عنده خالد مالٌ فخلى سبيله، وخرج زيد حتى إذا كان بالقادسية فلحقته الشيعة فسألوه الرجوع معهم والخروج ففعل[2].

وقيل أيضاً في سبب خروجه أن زيداً كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسن ابن علي على ولاية وقوف للإمام علي ابن أبي طالب (ﷺ)، فزيد يخاصم عن بني الحسين وجعفر عن بني الحسن، فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن، وقد تخاصم فيها يوماً عند أمير المدينة خالد بن عبد الملك، إلاّ أنه لم يفصل بينهما، وأسمع زيدا كلاماً غير لائق، فشكى ذلك للخليفة هشام إلاّ أن الخليفة أهانه ولم يسمح له بالدخول عليه إلاّ بعد حين، ولما دخل أنكر عليه تصرفه وتصرف خالد، ثم أمره الخليفة بالخروج، فسار إلى الكوفة[3].

والذي اتفق عليه أن زيد بن علي وصل الكوفة، وكان والي العراق آنذاك يوسف بن عمر، وقد شدد عليه المراقبة لخطورة تواجده بين شيعته، فكان الخليفة هشام يتخوف من مناصرة أهل العراق له وهذا ما حدث فعلاً، حيث بدأ شيعة زيد من أهل العراق تفد إليه سراً وتشير عليه بالخروج، وكانت بيعته التي بايع الناس عليها: "إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين والدفع على المستضعفين وإعطاء المحرومين، وقسمة هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم وإرجاع الجيش يبقى مدة طويلة في أرض العدو، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا، أتبايعون على ذلك؟"[4].

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق ، ج4، ص443.

[2] الزبيري، المصدر السابق، ص61.

[3] ابن الاثير، المصدر السابق، ج4، ص444.

[4] عمر أبوا النصر، المرجع السابق، ص145.

وحين تمت البيعة وشاع أمره بين الناس خاف يوسف ابن عمر من استفحال أمره، وأمره بالخروج من الكوفة وكان قد أقام بها أربعة أشهر أو خمسة، فخرج منها ودخل القادسية فلحقته الشيعة إلى هناك فسألوه الرجوع معهم والخروج، ففعل وتفرقوا عنه إلاّ نفراً، ونسبوا إلى الزيّدية ونسب من تفرّق عنه إلى الرافضة[1]، وكان تفرقهم عنه ونكث بيعتهم له مخافة منهم من يوسف بن عمر بعد معرفته أمر ثورة زيد له، فأتوه وقالوا له: ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال: رحمهم الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلما تطالب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلاّ لأنهم وثبوا على سلطانهم فمزعوه من أيديكم؟، قال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا أحق بسلطان(ﷺ) من الناس أجمعين وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، وقد ولّوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلما يظلمك هؤلاء إن كان أولئك لم يظلموك فلما تدعوا إلى قتالهم؟، فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، إنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ)، وإلى السنن أن تحيا إلى البدع أن تطفأ، فإن أجبتمونا سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل[2]، ففارقوه ونقضوا بيعته فسماهم زيد بالرافضة.

فتفرق الناس من حوله، ولم يبقى معه إلاّ مائتين وثمانية عشر رجلاً، ولكنه مضى قدماً نحو هدفه، وحدد موعداً مع أصحابه لثورته فاختار يوم الأربعاء أول صفر سنة(122ه)[3]، وعندما علم يوسف بن عمر بالموعد بعث إلى الكوفة الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع الناس في المسجد قبل موعد إعلان ثورة يزيد بيوم، ويضع عليهم حراسة حتى لا يخرجوا لنصرة زيد، وكان الحراس من جند الشام، فخرج زيد مع رجاله إلى المسجد لفك أسرهم وإطلاق سراحهم إلاّ أنهم لم يفلحوا في ذلك فقد رموهم الحراس بالحجارة، فانصرف زيد ورجاله وجرى بينهم وبين الجيش الأموي قتال داخل شوارع الكوفة وأزقتها، وكان النصر فيها لزيد، وقتل من جند الشام قرابة سبعين رجلاً[4].

---

[1] الزبيري، المصدر السابق، ص61.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق ، ج4، ص452.

[3] ابن كثير، المصدر السابق، ج9، ص266.

[4] نفسه، ص267.

وبعد هذا الانهزام بعث يوسف ابن عمر إليهم بنجدة من القيقانية والبخارية[1]، بقيادة سليمان بن كيسان الكلبي فالتقوا بهم وأصحاب زيد، ودار بين الطرفين صراعاً شديداً أصيب فيه زيد بن علي بسهم فأصاب جانب جبهته الأيسر فثبت في دماغه، فنزلوا به في دار من دور أرحب وأحضروا له طبيباً فانتزع النصل ومات زيد فور ذلك[2]، وقد أختلف حول مكان دفنه، والأرجح أنه دفن في ساقية وأجروا الماء على قبره خوفا من أن يمثل به الأمير الأموي وقد حضر الدفن عبداً سندياً فدّل يوسف بن عمر على قبره، فأمر باستخراجه وقطع رأسه وبعث به إلى يوسف بالحيرة فبعثه إلى هشام فنصبه على باب دمشق، وأمر يوسف أن يصلب جسد زيد بالكناسة وبقي البدن مصلوباً إلى أن مات هشام وولي الوليد فأمر بإنزاله وإحراقه[3].

لم تنته الحركة التي قام بها زيد بن علي بالكوفة بوفاته فقد فرّ ابن يحيى بن زيد هاباً إلى خراسان متخفياً مع نفر من الزيدية[4]، وظلّ فريق من أتباعه موالين له، وبقي مقيماً بخراسان حتى خلافة الوليد بن يزيد وكان نصر بن سيار والياً عليها، فعمد على مطاردته وتمكن من قتله سنة(125ه)[5]، عند الجوزجان[6]، أحد بلاد البلخ بخراسان.

**ج. ثورات البربر**: كان أهل إفريقية أكثر الولايات الإسلامية طاعةً وخضوعاً لبني أمية، غير أنهم كانوا غير راضين عن بعض الأوضاع السائدة هناك، وبالأخص معاملة بعض الولاة لهم الذين أسرفوا في فرض الضرائب وجمع الأموال مما أدى إلى تذمر السكان وتطلعهم للخلاص من وطأة الظروف التي يقاسمونها، ومما ساعدهم على ذلك أيضاً، وجود بعض الدعاة الذين وفدوا عليهم من

---

[1] **القيقان**: من بلاد السند مما يلي خراسان، الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص423. **البخارية**: سكة بالبصرة أسكنها عبيد الله بن زياد أهل بخارى الذين نقلهم من بخارى إلى بصرة و بنى لهم هذه السكة فعرفة بهم و لم تعرف بغيرهم. المصدر نفسه، ج1، ص352.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص125.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق ، ج4، ص455.

[4] نفسه، ص456.

[5] نفسه، ص471-472.

[6] الجوزجان أو جوزجاتان: وهم اسم كوره واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ و بلخ، الحموي ، المصدر السابق، ج2، ص172.

العراق ودفعوهم إلى الثورة، ويحتمل أن يكون هؤلاء الدعاة من الخوارج[1]، حيث ظهر بتلك الفترة المذهب الصفري بالمغرب الأقصى.

وفي سنة (122هـ) بلغ هذا التذمر ذروته عندما أساء عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي معاملة البربر وقسا في معاملته المالية لهم مما أثار حفيظتهم، فخرجت جماعة منهم إلى الشام لمقابلة الخليفة هشام يشكوا له أمر ابن الحبحاب وسياسته معه، فطلبوا الدخول على الخليفة فسألهم وزيره الأبرش عن سبب مقدمه فأبلغوه شكايتهم ومما تعرضوا له، إلاّ أنهم ظلوا على باب الخليفة و لم يسمح لهم بالدخول فرجعوا إلى المغرب عازمين على الثورة[2].

قامت ثورة البربر بطنجة في أرض المغرب الأقصى بقيادة مسيرة الدغرى[3]، وتمكن الثوار من الفتك بعامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي، وبويع قائد البربر مسيرة من قبل أتباعه بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين، فقويت شوكته والتفت جموع البربر حوله.

وقد استخلف مسيرة على طنجة عبد الأعلى بن حديج الأفريقي وكامن رومي الأصل[4] ثم سارع إلى والي السوس إسماعيل بن عبد الله بن الحبحاب وقضى عليه، ولما علم والي إفريقيا عبد الله بن الحبحاب بمقتل إسماعيل ومقتل عامل طنجة، غضب غضباً شديداً وكتب إلى حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، وكان على صقلية يأمره بالعودة فورا ليشارك في إخماد ثورة البربر، وقد جهز لذلك جيشاً كبيراً بقيادة خالد بن حبيب الفهري اتجه هذا الأخير إلى وادي شلف بالمغرب الأوسط والتقى مع جيش مسيرة ودارت معارك طاحنة انسحب فيها مسيرة ورجع إلى طنجة[5].

---

[1] فلهوزن، المصدر السابق، ص331.

[2] فان فلوتن، **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية**، تر: إبراهيم حسن إبراهيم، محمد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1934م، ص140.

[3] أحمد مختار العبادي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د-ت، ص76.

[4] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص149.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص53.

كان انسحاب مسيرة عار بالنسبة لأتباعه، واعتبروه حاد عن مبادئهم، فقاموا بقتله وولّوا مكانه خالد بن حميد الزناتي[1]، فأعاد ابن حميد ترتيب الجيش وخرج لملاقاة خالد ابن حبيب مستخدماً الحيلة والكمين، حيث قسم جيشه إلى قسمين أحدهما التقى بخالد والثاني إلتفى من خلفه فأصبح العرب محاصراً، ودارت الدائرة عليهم وقتل قائدهم بالمعركة التي عرفت بموقعة الأشراف سنة(122هـ)[2].

ولما وصلت أنباء هذه الكارثة للخليفة هشام، أمر بعزل الحبحاب وأرسل كلثوم بن عياض القشيري في اثني عشر ألفاً من عرب الشام، والتق بمجموعة من الثائرين من البربر بقيادة خالد ابن حميد الزناتي، فلقي كلثوم مصرعه وانهزم جيشه[3]، فأرسل هشام قوة جديدة بقيادة حنظله ابن صفوان[4] وأمده بثلاثون ألفاً، فنجح في هزيمة الخوارج بالقرب من القيروان سنة 124هـ).

واصل حنظله تقدمه إلى بلاد المغرب خوفاً من مباغتة الثائر الآخر عبد الواحد الهواري فسير له جيشا كثيفاً ولكنه لم يتفوق هذه المرة لمرض أصاب الخيول لسوء تغذيتها وقد خسروا كثيراً منها وعاد الجيش الأموي إلى القيروان، وأقبل عبد الواحد الهواري فنزل بالأصنام قرب القيروان وهناك جرى قتال ثاني كان النصر فيه للجيش الأموي، في حين فرّ البربر إلى جلولاء فلقهم الجيش الأموي إلى هناك وقتل قائدهم عبد الواحد، وحما رأسه إلى والي إفريقيا حنظله فسجد الناس شكراً لله وحمداً على نصره، وقد قتل في هذه الموقعة عدد كبير من البربر قدر بمائة وثمانين ألف قتيل[5].

أما عكاشة الفزاري وهو خارجي ظهر بمدينة قابس، أسر مع طائفة أخرى بمكان آخر وحمل إلى حنظله فقتله وكتب إلى الخليفة هشام بالنصر، فسرّ بذلك سروراً عظيماً، وقد وقعت هذه المعركة في أواخر أيام الخليفة هشام[6].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1 ص53.

[2] نفسه، ص54.

[3] ابن كثير، المصدر السابق، ج4، ص457.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ص57.

[5] نفسه، ص59.

[6] علي عبد الرحمان العمرو، المرجع السابق، ص155-156.

**د. حركة الحارث بن سريج:** الحارث بن سريج بن ورد بن سفيان بن مجاشع التميمي، أحد دعاة الإصلاح الديني في أواخر العهد بني أمية، أشتهر في حروب المسلمين ضد الأتراك فيما وراء النهر، كان من سكان خراسان، وكان والي خراسان أنذاك نصر بن سيار[1]، ولكنه ما لبث أن تولى منصبه حتى دخلت خراسان بفوضى أمنية نتيجة صراع بين المضرية واليمنية[2]، لأن الكرماني أبرز المعارضين قال لجماعة من الناس إن الفتنة قد وقعت بوصول نصر إلى ولاية خراسان، فما كان من الناس إلاّ أن طالبوه بالسعي إلى افتتاك الولاية منه.

قدم الحارث بن سريج التميمي على نصر، وقد انزعج نصر من قدومه، فأراد أن يقنعه بالعودة إلى أرض الترك ولكن الحارث كان هدفه الحصول على الأمان من يزيد بن وليد، فكان له ما أراد، كما أنه حصل على الأمان من نصر ومن والي الكوفة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعندما توجه الحارث إلى مرو استقبله نصر وأكرمه وأعطاه 50 درهماً في كل يوم، وأفرج على أهله[3]، إلاّ أن الحارث كان يطمع إلى أكثر من ذلك، فطلب منه عزل بعض العمال وتعيين آخرين يتوافقون مع أهوائه، ففعل نصر، لعل ذلك يقنعه بالحفاظ على الأمن وعدم ضربه بأي شكل من الأشكال.

وفي سنة(116ه) خرج الحارث بن سريج على أمير خراسان[4]، فلبس السواد خالعاً طاعة الخليفة هشام بن عبد الملك، داعياً إلى الإصلاح في ضوء الكتاب والسنة والبيعة لآل البيت، وقد حصل ذلك كسب الأنصار والأعوان فانضم إليه الكثير من الموالي والعرب الناقمين على الدولة الأموية، فأقبل الحارث إلى مرو في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد وتميم، وانطلقت شرارة في النخد[5] ومنها أقبل إلى الفارياب[6]، فاستولى عليها[7].

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص440-441.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص287.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص139.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص410.

[5] **نخد:** ناحية بخرسان. الحموي، المصدر السابق، ج5، ص276.

[6] **فارياب:** مدينة مشهورة بخراسان من عمال جوزجان قرب بلخ غربي جيحون. الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص229.

[7] فلهزون، المصدر السابق، ص442-443.

وفي ولاية عاصم ابن عبد الله الهلالي على خراسان[1]، أراد أن يردّ الحارث إلى صف الجماعة فأرسل له مقاتل ابي حيان النبطي وحاطب بن محرز السلمي يدعوانه لذلك، إلاّ أنه سجنهما وأوكل بهما أحد رجاله، فأوثقاه وهربا من السجن، وعادا إلى عاصم فأخبراه بخبث سيرت الحارث[2].

ومن الفارياب توجه الحارث إلى بلخ بأربعة آلاف رجل، وكان عليها نصر بن سيار والتجيبي بن ضبيعة المري، فلقيا الحارث فقاتلهم وانهزم الجيش الأموي، وتبعه الحارث فدخل بلخ وخرج منها نصر وأمر الحارث بالكف عنهم، وأمر عليها سليمان بن عبد الله بن حازم[3].

بعد انتصار الحارث في بلخ سار إلى الجوزجان ثم إلى مرو، وهناك ازداد مناصروه ووعدوه بالوقوف معه، ولما علم والي خراسان عاصم الهلالي بذلك هددهم بإخلاء المدينة وبالحاق بأرض قومه أبرشهر[4]، وأن يطلب من هناك النجدة من الخليفة، فتخلى الناس عن الحارث وبايعوا عاصم فخرج هذا الأخير وعسكر بجياسر والتقى بجيش حارث هناك ودارت معركة بينهما انتهت بهزيمة الحارث[5].

وفي سنة (117هـ) عزل الخليفة هشام، والي خراسان عاصم بن عبد الله وأمر والي العراق خالد بن عبد الله القسري أن يرسل أخاه أسداً لخراسان[6]، فلما علم عاصم بذلك أراد أن يصالح الحارث، وكتبا وثيقة تتضمن أن ينزل الحارث اي منطقة من مناطق خراسان شاء، ووقّعت الوثيقة من بعض رؤساء القوم معهم، الا يحي بن حضين بن المنذر رفض ذلك، فلما وصل أسد إلى خراسان وعلم بالخبر كتب لأخيه خالداً يخبره بذلك، فأمره بإجازة يحي بن حضين[7].

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق ،ج4، ص410 .

[2] نفسه، ص410-411.

[3] نفسه، ص411.

[4] **أبرشهر**: وهي نيسابور. الحموي، المصدر السابق، ج1، ص65.

[5] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص176.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ص374.

[7] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص177.

بدأ أسد بن عبد الله القسري في قتال الحارث، وأعدّ لذلك جيشاً فقسمه إلى قسمين: قسم بقيادة عبد الرحمن بن نعيم الغامدي أرسله إلى نواحي مرو الروذ، والقسم الثاني بقيادة أسد سار بهم إلى آمل[1]، واستطاع بذلك تحقيق عده انتصارات استرد فيها البلاد التي استولى عليها الحارث فاسحب الحارث إلى طخارستان ومنها إلى ما وراء النهر[2].

ولما قامت الحرب بين العرب والترك سنة(119هـ)، انظم الحارث إلى الترك وقاتل في صفوفهم، وأعاد مناصرة الترك أيضاً سنة (121هـ)، أثناء ولاية نصر بن سيار على خراسان وقد دارت معارك بين الأتراك والعرب، انتهت بمقتل الزعيم التركي في حين أمر يوسف بن عمر والي العراق نصر بن سيار أن يسير الحارث ويقتله وقد نفذ نصر الأمر، وأعاد جيشاً بقيادة يحي بن الحضين وأرسله إلى الشاش ثم سار نصر بنفسه على رأس الجيش إلى الشاش، فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن، واشترط عليه نصر أن يخرج الحارث بن سريح عن بلده فأخرجه إلى الفاريات[3].

وفي سنة (127هـ-744م ) عاد الحارث إلى مرو[4]، وعندما ظهرت الفتنة بين قبائل العربية اثر موت الخليفة الوليد الثاني، امتد أثرها إلى خراسان، حيث خرجت اليمانية على نصر وخرج عليه الحارث، وأخرجه من مرو بمعاونة اليمانية، ثم انقلبت اليمانية على الحارث، ودارت الحرب بين فريقين انتهت بمقتل الحارث بن سريج وأخيه وعدد من أعوانه[5]، وبذلك انتهت حركة الحارث التي سببت في خلخلة بناء الدولة الأموية في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر.

---

[1] **آمل**: اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل. الحموي، المصدر السابق، ص57.

[2] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص177-178.

[3] نفسه، ص181.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص7.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص144-146.

**ثانياً: انجازات هشام السياسية والعسكرية**

1. **التنظيم الإداري والعسكري:**

بعد أن رأينا كيف واجه الخليفة هشام الثورات والحركات التي قامت في عصره والانتصارات الباهرة التي حققها في الميدان الداخلي لدولته – وسيأتي بعد ذلك ذكر الميدان الخارجي والمتمثل في الفتوحات الإسلامية – لابد أن يكون وراء هذه الانتصارات مؤسسات إدارية وعسكرية بتنظيماتها وقياداتها وأساليبها القيادية أدت إلى استقامة البلاد له مكنته من ضبط أمور دولته ضبطاً إدارياً وعسكراً حكيماً، ليستطيع الوصول إلى ما وصلت إليه دولته من اتساع رقعتها الجغرافية وتأخير أفولها، وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه.

أ. **المؤسسات الإدارية:**

كان هشام بن عبد الملك رجل دولة من الطراز الرفيع في إدارة شؤون دولته، فقد أحدث تغيرات على مستوى المؤسسات الإدارية التي سبقت عصره، واستحداث مؤسسات أخرى جديدة، ومن هذه المؤسسات نذكر:

1. **الدواوين:**

وتعني السجل أو الدفتر، وهو مكان حفظ السجل، وهو الدفتر الذي تكتب فيه أسماء المقاتلة وأهل العطاء[1]، نشأ في عهد الراشدي وبالتحديد في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية، والحاجة لضبط شؤونها الإدارية والمالية، لتتطور الدواوين ويزداد عددها في العصر الأموي، فقد أستحدث دواوين جديدة كديوان الخراج وديوان الرسائل وديوان الخاتم وديوان البريد وديوان الطراز.

[1] علي بن محمد الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1 1989م، ص259.

لقد كان الخليفة هشام بن عبد الملك يشرف إشرافاً مباشراً ودقيقاً على كل الدواوين[1] ومن الدواوين التي أولى بها أهمية كبيرة هي ديوان الخراج، وتتمثل مهمة هذا الديوان في جمع ضريبة الجزية والخراج وهي الضريبة التي يدفعها أهل الذمة من يهود والنصارى على أراضيهم مقابل حماية الدولة الإسلامية لهم، وقد ولى عليه أسامة بن زيد ثم عزله، وولى عليه عبيدة بن الحبحاب مولى بني سلول، ثم تولى عبيدة مصر وجاء مكانه سعيد بن عقبة مولى بني الحارث بن كعب[2] .

وقد ذكر الطبري كاتباً يقال له عبد الرحمن بن علي، كان يعمل في ديوان الأمويين بعاصمة الخلافة الأموية، قال عن ديوان الخليفة هشام بن عبد الملك: (لم ير ديواناً أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام )[3]، وقال غسان بن عبد الحميد (لم يكن أحد من بني مروان أشد حصراً في أمر عماله ودواوينه، ولا أشد مبالغةً في الفحص عنهم من هشام)[4]، هذا يدل على شدة هشام في المحافظة على بيت المال وتدقيقه على عماله وولاته، وكانت دواوينه مثال التدقيق والعناية في معاملة الرعية ومحاسبة العمال الذين يتصرفون له.

أما ديوان الرسائل فهو دائرة رسمية مهمتها الإشراف على المراسلات، التي يقوم بها الخليفة والقيام بإعدادها في صيغتها الأخيرة، وقد كان أول ظهور له في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان وإن كان موجوداً في زمن الخلفاء الراشدين لكن ليس بالصورة التي عمل بها في العهد الأموي .

وقد كان الخلفاء يعينون كتاب لهذه المهمة ذوي المهارة وأهل الثقة، فكان أغلبهم كتاباً مقربين من الخليفة أو وزراء، وهذا ليتسنى للخليفة ضمان عدم حدوث تسرب في أسرار دولته سيما وأن صاحب هذا الديوان يشرف إشرافاً تاماً على المراسلات الواردة والصادرة فضلاً عن القيام بالتنسيق بين جميع دواوين الدولة، فالكاتب يعد من أكبر أعوان الخليفة[5].

---

[1] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص66.

[2] ابن خياط، **تاريخ خليفة ابن خياط**، تح أكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1985م، ص362.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص203.

[4] عمر أبو النصر، المرجع السابق، ص151.

[5] خليل نعين خليل حسان، **خلافة بني أمية عند خليفة بن خياط(41هـ-132 هـ/661- 749م )**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الإسلامي، الجامعة الإسلامية بغزة، منشور، 1431هـ- 2010م ، ص184.

وقد تعددت اختصاصات ديوان الرسائل مع مرور الزمن، وزاد عدد العاملين فيه وظهـــرت طائفة جديدة، كالكتّاب الذين يقومون بعملية الإنشاء، وآخرون يقومون باختصارها وتبيضـــها، وكذا الخازن الذي يتولى تخزينها وحفظها، ليصبح الكاتب بمثابة وزير دولة[1]، يستشار ويرجع إليه.

بلغ ديوان الرسائل مرحلة النضج في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك[2]، فقد كان كما سبق ذكره يشرف إشرافاً تاماً مباشراً ودقيقاً على دواوينه، فقد كانت سلطته شديدة التمركز، فقد عمل على التخلص النهائي من الاعتماد على النصارى في الكتبة، وأمر أن لا يستعان بذمي في الكتابة أو الدواوين[3]، واعتمد على العرب في ذلك، فكان كاتب الخليفة سعيد بن عمرو بن جبلة الأبرش الكلبي، وكان على نفوذ كبير في بلاط الخليفة هشام وتوجيه سياسته، وكان على ديوان الرسائل سالم بن عبد الرحمن مولى سعيد بن عبد الملك، وينوب عنه بشير بن أبي دلجة[4].

أما عن ديوان البريد فقد وضع لحفظ المال وسرعة وصول الأخبار ومتجددات الأحوال، وكانت الخيول تنقل البريد ورسائل الخليفة، وكانت تجهد في هذه المهمة، وآل أمر أكثرها إلى الهلاك، فكانت خيول البريد تهلك أكثر من تلك التي تساق إلى الأغراض الدنيوية من شراء الممالك والأمتعة وغيرها[5]، ثم استبدلت بالجمال لقدرتها على التحمل، فأصبحت الجمال هي الوسيلة لنقل البريد[6].

تتمثل مهمة هذا الديوان في خدمة أغراض الدولة لنقل أوامر وأخبار السلطة المركزية إلى الولايات والعكس، وقد استعمله الخلفاء الأوائل كمعاوية ابن سفيان وعبد الملك ابن مروان ويزيد ابن عبد الملك وغيرهم، وقد كان البريد وسيلة الخليفة هشام بن عبد الملك للحصول على الأخبار

---

[1] محمد بن طولون الدمشقي، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تح: محمد أحمد وهمان، وخالد محمد وهمان، ، ط1، دار الفكـــر المعاصـــر بيروت، لبنان، 1992م، ص38.

[2] بثنية بن حسين، **الدولة الأموية ومقوماتها الاديولوجية والاجتماعية**، ط1، كلية الآداب والعلـــوم الإنســـانية بسوســـة، تـــونس 1997م، ص18.

[3] نفسه، ص18-19.

[4] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص42.

[5] بن طولون الدمشقي، المصدر السابق، ص62.

[6] نقسه، ص63.

المتعلقة بالولايات وأساساً لسياسة والي خراسان، فقد عزل الخليفة هشام، أسد ابن عبد الله القسري عن ولاية خراسان بعد أن أخبرته عيونه أنه متعصب لليمن على حساب مصر وقيس وأفسد الناس بالعصبية، وكان رسولا الخليفة هشام على البريد هما: مولى أبي محمد السفياني وجردية، و لم تذكر المصادر ما هو انتماؤهما القبلي[1].

أما عن باقي الدواوين كديوان الخاتم [2]، فقد تولاه الربيع بن شابور، وكان نقش خاتم هشام:( الحكم للحكيم )، وخاتم الصغير والخاص تولاه اصطخر أبو الزبير مولاه، كما تولى ديوان الطراز[3]، جنادة بن أبي خالد[4].

لقد ساهمت هذه الدواوين في تكوين نخبة من الكتّاب طوروا ونثر العربي، وأكدت مركزية السلطة ودعمت دواليب الإدارة المركزية للدولة الأموية، ومكنت الخليفة هشام من ضبط أمور دولته وتقوية إدارتها ونفوذها، إلى جانب حرسه على إقامة العدل بين أفراد مجتمعه.

**2. القضاء:** كان ممن يساعد الخليفة هشام في إدارة شؤون دولته والحفاظ على أمنها وترابط أجزائها القضاة، فقد أولى به أهمية بالغة وولاة لأحسن الناس علماً وسيرةً وخلقاً، ووضع شروطاً يفترض أن تتوفر فيمن يوليه القضاء هو أو ولاته، العلم بالأحوال الدين والأحوال المالية والاقتصادية والعادات والتقاليد السائدة في الأقاليم، فقد كتب الخليفة هشام إلى عامله على مصر "أن تخيّر لقضاء جندك رجلاً عفيفاً ورعاً تقياً سليماً من العيوب، لا تأخذه في الله لومة لائم"[5].

كان القاضي في أول أمره بفضل بين الناس في الخصومات، وهو ما يسمى قضاء المظالم ثم تطور ليشمل جميع نواحي الحياة مثل: الزواج والمواريث والمعاملات في الأسواق.

---

[1] بثين بن حسين، المرجع السابق، ص27.

[2] **الخاتم:** هو من خطط السلطاني و والوظائف الملوكية ويكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب. مقدمة ابن خلدون، ص326.

[3] **الطراز:** طرز على أثواب السلاطين والملك المصنوعة من الحرير أو الديباج، فرسم فيه أسمائهم أو علامات تختص بهم. نفسه ص329-340.

[4] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص42-43.

[5] الكندي ، المصدر السابق، ص246-247.

ومما يضاف إلى قضاء الخليفة هشام بن عبد الملك أنه كان يتعرض للناس بشخصه، وتقام أماكن لاستقبال جماهير الناس، ويمكث كل سنة شهرين على هذا، وكان قد وكّل أناس مقربون منه أن يأتوا بضعفان الناس من المساكين، ومن أدنى فئة من الناس ليسمع لانشغالاتهم، وقد وكّل لهذه المهمة أناس عقلاء أدباء حكماء ليدنوا منه الضعفاء من الناس ويخرج هو بشخصه مع مستشاريه ويصنع لهؤلاء الطعام والشراب ويلتقي بهم ويسمع منهم، حتى قيل أنه يأتي إلى موضعه هذا ويصل إلى مخاطبته راعي السوام والأُمة السوداء فما دونهما[1].

ومن المواقف البطولية والاستثنائية في شخص الخليفة هشام أنه كان يدخل في القضاء من يخاصمه، ويتحاكم معه عند القاضي، وقد يحكم القاضي على الخليفة وقد يحكم على خصمه وهذا أمام الناس علناً، وكان ينصف المظلوم ولو كان على غير دينه وملته، فقد عرف بأنه أعطى لكل الناس مالهم ويزيد فوق حقهم خاصة أهل الكتاب من النصارى أعطاهم ما لم يعطي الكثير ليؤمنهم وتأمن البلاد على ذلك، وهذه من حسن السياسة وأنجحها.

وممن تولى منصب القضاء في ولاية هشام، تولى ثمامة بن أنس بن مالك قضاء البصرة وفي سنة(109هـ) عزل منه، وتولى بلال بن أبي بردة قضائها، وفي سنة(120هـ) تولى عبد الله بن بريدة الأسلمي قضاء البصرة فلما مات حلّ محله عامر ابن عبيدة الباهلي، وبقى على قضائها حتى مات هشام[2].

وفي الكوفة كان الحسين بن الحسن الكندي قاضياً عليها، ثم سعيد بن أشوع الهمداني، ثم محارب بن دثار، ثم الحكم بن عتيبة العجلي، ثم سعيد بن أشوع مرة ثانية، وبقي قاضاً حتى مات ثم تولى بعده عيسى بن مسيب البجلي، ثم عبد الله بن شرمة، ثم محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى حتى مات هشام، وفي المدينة عيّن واليها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، ثم محمد بن صفوان الجمحي، ثم الصلت بن زبيد بن الصلت، ثم استقضى الوالي الجديد خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم سنة أربع عشرة ومائة أبا بكر بن عبد الرحمن بن حويطب، ثم محمد بن صفوان، بيد أن

[1] الدينوري، المصدر السابق، ص146.

[2] ابن خياط، المصدر السابق، ص361.

هشام بن عبد الملك عزل خالداً سنة تسع عشرة ومائة وكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فبقي قاضياً على المدينة حتى مات[1].

**3 . الحاجب وحارس الخليفة** : تعتبر الحجابة[2]، والحراسة من وظائف السياسية الحساسة والهامة في الدولة الأموية، وبمثابة العين الساهرة على قوة السلطة وتمسكها لما تنقله من أخبار للخليفة وحاشيته، فبقوة من تولى هذا المنصب، ويلتزم بأخلاق الدولة وآدابها تزداد السلطة هيبة وقداسة لدى مختلف الشرائح الاجتماعية، لذا أولى لها خلفاء بني أمية عناية فائقة في اختيار من يتولاها، إذ أخذوا يختارون المتميزين من الحجاب والحراس والكتّاب ليكونوا بمثابة الدرع الواقي من كل الأخطار المحدقة بالخليفة وسلطانه .

إن أول من اتخذ الحاجب هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان[3]، وتبعه حكام مسلمين من بعده حيث عمد هؤلاء على التقاء شخص يقوم بهذه المهمة، وذلك خوفاً على أنفسهم من شر الناس وتنافياً لازدحامهم على أبوابهم، وشغلهم عن النظر في مهام الدولة[4]، فوظيفة الحاجب الرئيسية تتمثل في القيام على باب الخليفة فضلاً على التأكد من حالة من يستقبلهم الخليفة ومعرفة الغرض الذي جاؤوا من أجله وتخفيف عن الخلفاء من ازدحام الناس، حتى يتفرغوا إلى النظر في مهام الدولة.

وقد اتخذ الخليفة هشام بن عبد الملك، غالب بن مسعود مولاه حاجباً له، في مكان حرسه نصير مولاه، ثم عزله وولى الربيع بن زياد مع الخاتم.[5]

**ب. المؤسسات العسكرية:** لقد تطورت المؤسسة العسكرية في العصر الأموي، وأصبحت أكثر تنظيماً مما سبق وظهرت معالجات جديدة تنمّ عن تطوّر الفكر العربي الإسلامي في مجال

---

[1] ابن خياط، المصدر السابق، ص361.

[2] بن طولون، المصدر السابق، ص75. مقدمة ابن خلدون ، ص299

[3] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج1، ص360.

[4] نفسه، ص360-361.

[5] ابن خياط، المصدر السابق، ص362.

التعبئة العسكرية والتموين والتخطيط وهي بالأساس توضح التجربة القيّمة للمسلمين والمعرفة العالية بأمور القتال ومستلزماته.

إن الفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون لنشر الإسلام، لم تكن سهلة على الإطلاق فهذه المهمة كانت تقتضي إن تسير الجيوش وتتوغل كثيراً في أراض تضاريسها بالغة الصعوبة والتعقيد، فالمرتفعات ووعورة المسالك وتعرجها، فظلاً عن مقاومة أعداء الإسلام، كل تلك العوامل صعبة من مهمة المسلمين في نشر الإسلام وكذا تصدى الثورات التي كانت تصل إلى ديار المسلمين.

هذا ما جعل الخلفاء الأمويين عامةً والخليفة هشام خاصةً يولون الأهمية البالغة للقطاع العسكري وسعوا إلى تطويره والجعل منه قوة عظيمة تقف جاهدةً على أمن الدولة داخلياً وتوسعها خارجاً .

وضع الخليفة هشام بن عبد الملك سياسة عسكرية محكمة اهتم فيها بسلك الشرطة والعناية بحدود دولته البرية والبحرية ونظّم جيوشه تنظيماً محكماً، متخذاً ديواناً خاصاً بهم ما يعرف بديوان الجند، ووضع التحصينات الأزمة لحماية دولته من كل الأخطار، وسنفصل قليلاً في هذا من خلال النقاط التالية:

### 1. الشرطة:

لقد عرف نظام الشرطة في الإسلام قبل العهد الأموي، إلاً أنه لم يكن كما عرف بالعصر الأموي، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتدخل بنفسه لإنهاء أي خلاف، فكان هذا كفيلاً لاستتباب الأمن فلم تكن توجد وظيفة الشرطة بصورة متميز إلاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الصحابة للقيام ببعض الأمور الإدارية والأمنية[1].

وقد سار الخلفاء الراشدين على نفس منوال الرسول صلى الله عليه وسلم في المجال الأمني، في حين تطور نظام الشرطة، وأصبحت الحاجة إليه أكثر لقمع الفتن والثورات والاضطرابات التي

[1] بثينة حسين، المرجع السابق، ص57.

نشبت في كافة أرجاء الدولة الإسلامية، فالشرطة في عاصمة الخلافة الأموية مرتبطة بالتنظيم العسكري وتتمثل مهمتها في الحفاظ على الانضباط داخل الجيش[1].

وقد استحدث هشام بن عبد الملك نظاماً جديداً سميّ نظام الأحداث، وكان صاحبه يضطلع بالأعمال العسكرية التي تعتبر وسطاً بين أعمال صاحب الشرطة ونقابة الجيش صاحبها كأحد الحجاب، وله مكانة عند الجند في عرضهم، وإذا أمره السلطان بإحضار أحد من المتهمين فهو صاحب ذلك الولاية مثل صاحب الشرطة[2]، أما شرطة هشام فكان يتولاها حامد العبسي ثلاث عشرة سنة، ثم ولاه أرمينية، وولى الشرطة يزيد بن علي بن ضخم العبسي[3].

2. **الجيش:**

كان مماً يساعد الخليفة هشام على استقامة البلاد له إلى جانب القضاء الجيش الذي كان له الفضل في استتاب الأمن داخل الدولة وحماية حدودها، وقد ولى الخليفة هشام اهتماماً كبيراً به فكان كثيراً من قادة الجيش من أبناء الخليفة، فكانوا يتولون قيادة الجيوش وخوض المعارك وقد قام معاوية ابن هشام بقيادة الطوائف عشرة سنوات وغزا أرض الروم[4].

لما كان أخوا الخليفة هشام مسلمة بن عبد الملك وابن عمه مروان بن محمد بن أبرز قادة الجيش، وممن أبلوا بلاء حسناً في سبيل نشر الإسلام ودحر أعدائه والمحافظة على أمن الدولة ورفع كلمتها، هذا إضافة إلى ما كان يقوم به ولاة الأقاليم من قيادة للجيوش، وهناك الكثير من الرجال الشجعان الذين اعتمد عليهم هشام بقيادة هشام نذكر منهم: عبد الله ابن عفية الفهري إسحاق بن مسلم العقلي، وكلثوم بن عياض القشيري، وعبد الله البطال، والوليد ابن القعقاع[5].

---

[1] بثينة حسين، المرجع السابق، ص58.

[2] حسن ابراهيم حسين، المرجع السابق، ج1، ص57.

[3] ابن الخياط، المصدر السابق، ص361.

[4] نفسه، ص140.

[5] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص45.

### 3. العيون:

هو بمثابة جهاز مخابرات تنقل الأخبار وما يحدث في الولايات للخليفة ليكون على علم بكل ما يحدث في ربوع دولته، ولما تولى الخليفة هشام بن عبد الملك الخلافة ازداد العناية في إدارته العسكرية بأمر العيون، فوضع العيون والرقباء على ولاته من خيار الناس ليتأكد من سيرهم بالعدل كما وضعها لمراقبة عماله في الإدارة والقادة وكذا لنقل الأخبار من يحاربه من الأعداء والخارجين عن الدولة، كما كان قادة هشام بن عبد الملك يضعون العيون على عسكرهم لمعرفة أحوالهم وأخبارهم، فمن ذلك أن القائد الجنيد بن عبد الرحمن المري والي خراسان أثناء محاربته لخاقان ملك الترك أحب أن يستطلع أخبار جنده، فكلف أحد رجاله بأن يسير في المعسكر ليتعرف على روحهم المعنوية فقال له: "امش في صفوف والدراجة وتسمّع ما يقول الناس وكيف حالهم"[1].

### 4. الاهتمام بالحدود البرية والبحرية:

سلك هشام بن عبد الملك نهج من سبقه من خلفاء بني أمية في إدارته العسكرية بالعناية بأمر الثغور وأحوالها وحماية الحدود من هجمات العدو، وذلك لإنشاء التحصينات اللازمة، والتي كان منها بثغر المصيصة[2]، وحصن الربض[3]، وحصن المثقب على ساحل البحر قرب ثغر مصيصة وحصن قطرغاش[4]، واهتم بغيرها من الحصون، وأقام بحصن بغراس[5]، مسلحة في خمسين رجلاً وعمل حصن بوقا[6]، من عمل أنطاكية، وكانت هذه الحصون مشحون بالجند المرابطين، وكان قادة الثغور على صلة بالخليفة هشام فيطلبون منه ما يريدون[7].

---

[1] محمد صلابي، المرجع السابق، ج2، ص479-480.

[2] الحموي، المصدر السابق، ج2، ص97-81.

[3] نفسه، ج3، ص25.

[4] نفسه، ج4، ص373.

[5] **بغراس:** مدينة في لحف جبل اللكام قرب أنطاكية. نفسه، ج1، ص467.

[6] **بوقا:** من قرى أنطاكية.، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص510 .

[7] البلاذري، **فتوح البلدان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1398هـ ، ص227-229.

أما عن الحدود البحرية فقد أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بتحديد القواعد البحرية بالساحل الشامي، وبنقل دار صناعة السفن من عكا إلى الصور، ورمم القاعدة البحرية بها، ومنها أصبح مخرج المراكب البحرية لغزو الروم، وقام واليه على إفريقية عبد الله ابن الحبحاب بتطور دار تطور صناعة السفن بتونس[1]، فكان منها يخرج الأسطول الإسلامي للغزو والفتوحات هناك واستمرت في خلافته خروج الحملات البحرية للصائفة والشاتية لدوريات لحفظ السواحل البحرية والحمالات البحرية وحمايتها، وللغزو وشن الهجمات البحرية على سواحل العدو، وولى قيادة هذه الحمالات كبار القادة، لمعاوية ابن هشام بن عبد الملك، وعبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وعبد الله بن أبي مريم وعبد الله بن عقبة بن نافع الفهري وغيرهم[2].

### 5. الشورى عند هشام في إدارته العسكرية:

أخذ هشام بمبدأ الشورى في إدارته العسكرية، فعندما علم باستشهاد قائده الجراح بن عبد الله الحكمي ومن معه من قبل الخزر، جعل يستشير وزراءه، وخاصةً في ما نزل بالقائد الجراح وأصحابه وأدخل عليه كل من ببابه من اجل مشورتهم، وطلب رأيهم حيث سمع منهم، ما قالوا وأشاروا به في هذا المصاب، وهو في تعيين من يخله في القيادة ضد الخزر[3]، والتزم الخليفة هشام بالشورى في إدارته لشؤون الدولة وبخاصة تعيين الولاة والقادة، وكان قد استشار أحد العارفين بشؤون خرسان، وهو عبد الملك بن حنظله في من يوليه ولاية خراسان، فقال الخليفة لعبد الملك بن حنظلة:" اني اراك رجلا عاقلا عالما بخراسان فسم لرجالها، ومن ترى ان منهم يصلح لها، قال: يا امير المؤمنين بها عبد السلام بن مزاحم السلمي وهو شيخ خراسان وسيدها في سنه وفضله وعقله من رجل فيه حصلة قال: وما هي؟ قال: بخل لا ينادي وليده.

فقال هشام: لا يستقيم بخراسان رجل يوصف بالبخل سم لي غيره. فقال: يحيى بن الحصين بن المنذر الذهلي، فتى خراسان سخاء بأساً من رجل فيه خصلة، قال: وما هي؟ قال: يشرب بالليل، قال: ليس هذا من أصحابها سم غيره قال : قطن بن قتيبة بن مسلم الباهلي رجل خراسان

[1] الحموي، المصدر السابق، ج2، ص62.
[2] صلابي، المرجع السابق، ج2، ص480.
[3] نفسه، ص479.

عفافاً وعقلاً وحلماً وسخاءً وكمالاً قال: فيه شيء؟ قال: نعم موتور وتره قومه، قال: سم غيره قال فثم أخوه سلم بن قتيبة وليس بدون من سمي للأخساء وحلما وسؤدداً. ما رأينا شيخا في نسك شاب غيره قال فسم لنا غيره. قال: نصر بن سيار رجل خراسان باسا وحزما وتجربة وشدة رأي ، من رجل لا عشيرة له بها قال: وممن هو ؟، قال: من بني ليث بن بكر بن كنانة، قال: فانا عشيرته ولن يذل من كنت عشيرته[1]".

وقد سار قادته على من واله بالتزام بمبدأ الشورى، في مرحلة الإعداد والإقرار والتنفيذ الخطط في إدارتهم للمعارك الحربية.

## 2.الفتوحات الإسلامية في عهد هشام بن عبد الملك

تقلصت الفتوحات الإسلامية في عهد هشام بن عبد الملك، واقتصرت على غزوات يحدث فيها تقدم قليل، ثم يعود المسلمون على أثرها إلى ثغورهم، أو تفتح رقعة صغيرة من الأرض أو بعض الحصون، أو يحدث قتال بسبب نقص أعداء المسلمين العهد، مما يضطر المسلمون إلى معاودة قتالهم وإجبارهم إلى طلب الصلح ثانيةً ودفع الجزية[2]، وقد كانت الفتوحات تقتصر على أربعة ميادين هي:

### 1- الميدان الشمالي البيزنطي:

استمرّ النضال بين المسلمين والبيزنطيين في عهد هشام بن عبد الملك، الذي أحيا أعمال الجهاد، وقد اتخذ هذا الصراع صفة الحرب المقدسة من جانب البيزنطيون.

[1] خالد جاسم الجنابي، **التنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي** ، ط2، دار الحرية للطباعة ، بغداد، العـــراق، 1986م، ص216-217.

[2] محمد سهيل طقّوس، المرجع السابق، ص159.

اهتم هشام في بادئ الأمر بإنشاء الحصون، في مناطق الحدود لامتصاص الغارات البيزنطية من جهة، واتخذها قواعد انطلاق لغزو الأراضي البيزنطية من جهة أخرى، فأنشأ ستة حصون على الطريق العسكري الممتد بين أنطاكية حتى المصيصة كما رمم حصن مالطية[1].

استمرت الغزوات في أرض الروم طيلة أيام هشام، فكانت تندفع الطوائف والشواتي مجاهدة في البر والبحر، ولكنه لم تحدث معها تغيرات في حدود، إنما تتوغل في أرض الروم، ثم تعود إلى الحصون الكائنة على مرتفعات جبال طوروس، وكان أشهر قادة تلك الغزوات أبناءه: معاوية وسليمان وإبراهيم، ومسلمة، وأخوه مسلمة بن عبد الملك، وعبد الله البطّال، وسعيد بن عبد الله والوليد بن القعقاع العبسي، والنعمان بن يزيد بن عبد الملك .

وفي عام (107هـ) غزى معاوية بن هشام الصائفة، وكان على جيش الشام ميمون بن مهران فقطع البحر إلى قبرص[2].

وفتح مسلمة بن عبد الملك مدينة قيصرية شهر رمضان من سنة(107هـ)[3]، ثم رجع عنها إلى الثغور، ثم غزى سعيد بن هشام سنة(111هـ)، مدينة قيصرية[4]، ورابط معاوية بن هشام عام(113هـ) في ناحية مرعش[5]، وكان قد فتح حصن خرشنة قبل عام[6].

كان رد فعل البيزنطي تجاه هذا النشاط الإسلامي محدوداً بفعل الظروف الداخلية التي كانت تمر بها الإمبراطورية وتتمثل بالصراع مع عبد الأبقونات، مما أعطى فرصة للخليفة لمواصلة ضغطه العسكري، وحدث في عام (122هـ-740م) أن توغلت قوة إسلامية باتجاه آسيا الصغرى، وحاصرت ربض أكرن( أكرونيون) القريبة من عمورية، فخرج ليو الثالث بنفسه على رأس الجيش البيزنطي للتصدي للمسلمين، واصطدم بهم في معركة شرسة حقق فيها انتصاراً

---

[1] محمد سهيل طقّوس، ص159.

[2] محمود شاكر، المرجع السابق، ج4، ص250.

[3] ابن الخياط، المصدر السابق، ص337.

[4] نفسه، ص341.

[5] محمود شاكر، المرجع السابق،ج4، ص251.

[6] **خرشنة:** بلد قرب ملطية من بلاد الروم، وسمي خرشنة باسم عامرة، خرنشة بن الروم بن اليقين. الحموي، المصدر السابق، ج2، ص359.

واضحاً، وتكبّد المسلمون خسائر جسيمة وارتبطت هذه المعركة بقصة البطل التركي المعروف بعبد الله البطال الذي قتل أثناء القتال ودفن في قرية تقع جنوب أسكي شهر، ولا يزال قبره قائماً حتى اليوم، وتعتبر هذه المعركة آخر المعارك الكبرى بين الأمويين والبيزنطيين، وترتب عليها أن جلا المسلمون عن الجزء الغربي من آسيا الصغرى، وتراجعوا نحو الشرق[1].

### 2. الميدان الإفريقي:

عان هشام بن عبد الملك كثيراً من عداء البربر، بعد أن استقطبهم الخوارج، وقد نقموا على العرب لاستئثارهم بالمناصب والامتيازات في حين تحملوا هم العبء الضريبي، وأبعدوا عن مراكز السلطة، وقد تطور هذا العداء إلى ثورة عارمة سنة(122هـ-740م) بفعل اشتطاط والي طنجة في طلباته المالية، وتغلب الثائرون على عدة جيوش أموية أرسلت إلى المنطقة لإخضاعهم، حتى كان عام (124هـ-742م) حين أرسل الخليفة جيشاً جراراً بقيادة عامله في مصر حنظله بن صفوان الكلبي[2]، انتصر على الثائرين في معركتي الأصنام والقرن[3]، واستتبّ الأمر للأمويين[4].

### 3. الميدان الأوربي:

أ. فتح الأندلس: وصل عبد الرحمن الغافقي إلى ولاية الأندلس لمرة الثانية، وكان من القادة الأفذاذ الذين عرفهم التاريخ الإسلامي، وقد أشتهر عبد الرحمن الغافقي بورعه وتقواه وصلاحه وإيمانه القوي[5].

عبر عبد الرحمن الغافقي جبال البرينيه في أوائل عام (144ه- 732م)، مع حوالي سبعين ألفاً من المسلمين بعد أن احتفل في بنيونة بإعداد حملته، ففتح مدينة آرل ثم جوردو (بزدال)، حيث سجل نصراً رائعا على الدوق أودو، وأسرع أودو إلى شارل مارتل يستنجده وبخاصة بعد أن

---

[1] محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص159-160.

[2] ابن العذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص58-59.

[3] **القرن:** جبل بإفريقية. الحموي، المصدر السابق، ج4، ص333.

[4] محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص161.

[5] عبد المجيد نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص100-101.

اجتاح الغافقي نصف فرنسا الجنوبي حالياً كله من المغرب إلى المشرق، ووصلت جيوش المسلمين للمرة الثانية إلى أبواب باريس في غضون سبع سنوات، واستولوا على بواتيه وتقدموا صوب مدينة تور، وأدرك شارك مارتن أن الدولة الفرنجة ذاتها هي خطوة المسلمين التالية فقرر التحالف مؤقتاً مع دوق أوكيتانيا لمواجهة الخطر الإسلامي المشترك[1].

كانت المنازلة الكبرى بين الجيش الإسلامي والجيش الفرنجي سنة (114ه-732م) في سهل يقع شمال بواتيه، فعرفت المعركة باسم بلاط الشهداء لكثرة من أستشهد من المسلمين وعلى رأسهم الغافقي ذاته فكانت الهزيمة[2].

**ب. معركة بلاط الشهداء:**

تولى عبد الرحمن الغافقي ولاية الأندلس للمرة الثانية في صفر سنة (112ه)، وفي ولايته جرت معركة بلاط الشهداء التي كانت بين النصارى بقيادة شال ماتل، وبين المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي داخل الأراضي الفرنسية.

وفي سنة (114ه -732م) خرج عبد الرحمن الغافقي بجيش كبير لمواصلة عملية الغزو في بلاد الغال، فهاجم أكيتانيا وعبر نهر الجازور، واستولى على مدينة مصبه، وكان العرب يسمونها برديل أو بردال، ولما عجز يودو دوق أكيتانيا عن مقاومة العرب استنجد بالدولة الفرنجة وكانت هذه الدولة ملكية بنظامها، ويحكمها المتأخرون من ملوكها الذين كانوا في ذلك الوقت ملوكاً ضعافاً، أما السلطة الحقيقية في البلاد فكانت في يد الحاجب أو الرئيس القصر المعروف باسم شارل مارتل[3]، لبى هذا الأخير دعوة دوق يودو، وخرج بجيش ألمانيا الكبير لصد الزحف العربي والتقى الجيشان في مكان بين بلدتي نور وبواتيه في رمضان من سنة(114ه-732م)[4] .

---

[1] ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد، **حركة الجهاد والفتح الإسلامي في الدولة الأموية وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية معهد الدعوى الجامعي للدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا، بيروت، لبنان، منشورة، 2008م، ص132.

[2] علا عبد العزيز أبو زيد، المرجع السابق، ص66 .

[3] أحمد مختار العبادي، المصدر السابق، ص83.

[4] نفسه، ص84 .

كانت خطة عبد الرحمن الغافقي مبنية على أن عدد جيش النصارى قليل، لكن المعلومات التي وردته عكس ذلك، فقد كان عدد جيش النصارى كبيراً جداً، وكان مع المسلمين غنائم كثيرةً، وقد أشار عبد الرحمن الغافقي على جيشه أن يتركوا الغنائم وراءهم ويعبوا النهر لمواجهة النصارى، فوافقه على ذلك جميع القادة على هذا الرأي إلاّ قادة البربر فقد رفضوا وأسرّوا أن يأخذوا الغنائم، فأخذها الغافقي خوفاً من انشقاق جيشه، ولقد بلغ من حرص الجند على هذه الغنائم أن أدرك شارل مارتل هذا بوضوح[1] .

انطلقت المعركة بين الجيشين، واستمر فيها القتال ثلاثة أيام، ففي اليوم الأول لم يتوقف القتال إلى أن حلّ الليل ورجع كل جيش إلى معسكره استعدادا لليوم التالي، ولقد غير الغافقي خطته القتالية وقسم جيشه إلى قسمين فجعل البربر على الميمنة والعرب إلى ميسرة والخيالة بالوسط[2],في اليوم الثاني دخلت القوات الإسلامية على القوات النصارى واستطاعت اختراق صفوفهم، فلما رأى شارل مارتل هذا التقدم للجيش الإسلامية وجه فرقة من جيش لمؤخرة الجيش الإسلامي حيث المعسكر الغنائم، فلما علم الجيش الإسلامي بذلك تركوا المعركة وارتدوا إلى الخلف محاولين حماية المعسكر فوق الاضطراب في صفوف المسلمين، وحاول الغافقي جاهداً على دعوتهم للثبوت وعدم الرجوع إلى الخلف، لكنهم لم يلبوا النداء، واستمروا بالانسحاب فاختل توازن المسلمين وانهزموا واستشهد القائد العظيم عبد الرحمن الغافقي مع عدد كبير من رجاله وكانت جثث المسلمين تملأ المكان ولذلك سميّ بلاط الشهداء[3].

### 4. الميدان الآسيوي:

#### أ. بلاد السند:

نشطت حركة الجهاد والفتح في بلاد السند أيام الخليفة هشام بن عبد الملك، بهدف تثبيت الأوضاع فيها وإخضاع بعض الولايات الهندية المجاورة التي كانت من عوامل عدم استقرار

[1] علا عبد العزيز أبو زيد، المرجع السابق، ص66.
[2] عمر فروخ، المرجع السابق، ص182.
[3] علا عبد العزيز، المرجع السابق، ص65-66.

الأوضاع في السند، وكان من أشهر قادة المسلمين في بلاد السند، الجنيد ابن عبد الرحمن المري فقد قام بإخضاع بلاد السند وإقليم كجرات من بلاد الهند بنجاح وسرعة، وعادت الحياة إلى بلاد السند بالطمأنينة والأمن وكان ذلك سنة(107ه)، وبعد نقل الجنيد بن عبد الرحمن إلى خراسان تولى إمارة السند تميم بن زيد العتيبي وكان ذلك سنة (111ه)، واضطربت أحوال البلاد في إمارته وقامت الفتن بين أهل السند والعرب أنفسهم، فغادر إلى العراق ونصب بداله الحكم بن عوانة الكلبي سنة(112ه)[1]، فأحيا الجهاد وسار سيرة حسنه في السند، وكان من عوامل نجاحه اختياره عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي، وقد أسند إليه الحكم قيادة الجيش فتحرك عمرو بالجيش لإخماد الفتن ونجح في ذلك، واستقرت الأوضاع بالسند ووصى أهلها بولاية الحكم، وبقي الحكم في ولاية السند حتى عام (122ه-740م ) حيث خرج على رأس جيش لإخماد الفتن التي ثارت في بعض مناطق السند، وفي صحبته عمرو بن محمد القاسم الثقفي، فاستشهد الحكم وانتصر جيشه على الأعداء، ثم تولى ولاية السند عمرو بن محمد القاسم الثقفي فكان من أعماله بناء مدينة المنصورة لتكون حصناً للمسلمين عند أي هجوم من الأعداء[2].

وقد أفاد ذلك حيث هجم أحد ملوك الهند المجاورين للسند على تلك المدينة لما أحس بقلة جيش المسلمين المرابط فيها، فتحصن بها المسلمون لعدم مقدرتهم على قتال ذلك الجيش المهاجم وطلب عمرو المدد من والي العراق فأمده بأربعة آلاف مقاتل، فقرر عمرو مهاجمة الجيش الهندي وجعل على مقدمته معن بن زائدة الشيباني، وهجموا ليلاً على الجيش الهندي فانتصر المسلمون وقتل الكثير من الجيش الهندي ووقع ملكهم في الأسر، ولكن المسلمين لم يعرفوه، فأنقذه جنوده ولاذوا جميعاً بالفرار وتركوا وراءهم أموالهم والأسرى الذين أسرهم المسلمون[3].

1 محمد صلابي، المرجع السابق، ج2، ص477.

2 ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد، المرجع السابق ، ص181-180.

3 عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، **الأمويون والعباسيون والعثمانيون والدويلات المستقلة**، ج1، ط1، دار الدعوة، الإسكندرية مصر، 1998م، ص173-174.

ب . بلاد ما وراء النهر:

كانت الحروب في منطقة ما وراء النهر شبه مستمرة مع السكان المحليين، بسبب المعاملة السيئة التي كانت يعاملهم بها العرب هناك، وبخاصة أن العرب كانوا بعد عمر بن العزيز يأخذون الجزية عن أولئك الذين أعلنوا إسلامهم، وعندما تفاقمت الأمور في هذه المنطقة قام الخليفة هشام بن عبد الملك بتعيين نصر بن سيار، وهو من الرجال الذين كانت الأيام قد صقلتهم وعلمتهم التجارب ، وقد عين والياً على خرسان برمتها، وقد نجح هشام في هذا التعيين، لأن نصر بن سيار لم يكن له عصبية في هذا الإقليم ، فحتى تستقيم له الأمور، كان لابد له من إتباع طريق النزاهة والعدل بين الجميع، وهذا ما فعله[1].

- لم ينقطع القتال في بلاد ما وراء النهر أيام هشام بن عبد الملك، واشتهر منم القادة أيامه أسد بن عبد الله القسري، ومسلم بن سعيد، والجنديين بن عبد الرحمن وسعيد بن عمرو الحرثي ونصر بن سيار[2] .

وفي سنة(199ه) قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك خاقان، وكان سبب ذلك أن أسد أمير خراسان عمل نيابة عن أخي خالد بن عبد الله على العراق، ثم سار بجيوشه إلى مدينة ختل فافتقدها، وتفرقت في ارضها جندوه وجاءت العيون إلى خاقان تخبره بأن جيش أسد قد تفرق وصول خاقان، فتجهزّ لمواجهة وجرت المعركة وقتل أسد خاقان ثم أرسل مبشراً الخليفة هشام بما الله فتح عليهم وقتل خاقان[3].

واجهت الدولة الأموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كثيرا من الحركات والثغرات ويعود ذلك فيما يبدوا إلى سعت رقعة الدولة، وانشغال الكثير من الولاة في الحروب الخارجية مع الدول المجاورة في كثير من الجهات، كما أن بعض العناصر الداخلة في الإسلام ولما يتمكن في قلوبهم، ضلوا يتحسرون على ماضيهم، ويتربصون بالدولة ويترقبون الفرص للقيام بانتفاضاتهم إضافة إلى ذلك شدة بعض الولاة الأقاليم في تعاملهم مع شعوب أقاليمهم.

[1] ابراهيم زعرور، المرجع السابق، ص115.

[2] محمد صلابي، المرجع السابق، ج2، ص477.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص423-427. وعبد العزيز الحميدي، المرجع السابق، ص416-417.

# الفصل الثالث

# الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

**أولا: الأوضاع الاقتصادية**

1. سياسة هشام المالية
2. واردات الدولة
3. نفقات الدولة

**ثانيا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية**

1. الأوضاع الاجتماعية
2. الأوضاع الثقافية

إن الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا غنى عنها لتوضيح كثير من جوانب الحياة الإسلامية العامة لمعرفة إبداعاتهم الفنية والثقافية وتفسير مظاهر الرخاء الاقتصادي والتنوع الثقافي وتأثيرها على الحياة الاجتماعية التي سادت عصرا مهما مثل عصر الأموي، وكانت من وراء القدرات الهائلة التي قام بها الخلفاء الأمويين أمثل هشام بن عبد الملك.

**أولا: الأوضاع الاقتصادية**

**01/ سياسة هشام المالية:** كان هشام بن عبد الملك من أكثر الخلفاء عناية بالناحية المالية فقد كان يتفقد أمور دولته المالية بنفسه، وكان رقيبا على عماله في الدخل والصرف، ويحاسب من بخطأ أو يتجاوز في صرفه أو يبذر أموال الدولة، فكان حريصاً شديد الحرص على المال العام للدولة، وقد نظم الدواوين وضبط الحسابات بعناية فائقة، كما قام بصك عملته، ولهذا كانت إدارته دقيقة ومنتظمة، فقد قال عنه غسان بن عبد الحميد "لم يكن أحد من بني مروان أشدّ حصراً في أمر عماله ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام"[1]، فانتظمت ميزانيته وحُفظ بيت ماله وقد جمع الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله[2]، وكان حريصاً عليها أتمّ الحرص حتى وصف بالبخل.

تعتبر سياسة هشام بن عبد الملك المالية امتداد لملوك بني أمية، ومخالفة للنهج الإصلاحي التجديدي الراشدي الذي قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكانت مصادر بيت المال في عهد هشام مختلفة باختلاف مجالاتها كالجزية، والخراج والغنائم والزكاة وغيرها من المصادر، أما عن نفقاتها فكانت على مرتبات الولاة والجنود والموظفين والإصلاحات كشق الأنهار وإصلاح الأرض وغيرها من الأمور[3].

ومن المجالات التي عززت النظام المالي للخليفة هشام اهتمامه بالنظام الزراعي وسعيه إلى تكوين ملكيات زراعية كبيرة، فقد كانت له ملكيات زراعية واسعة في أنحاء مختلفة من الدولة وبلغ من كبر حجم ملكياته أن المنتوجات الزراعية كانت تؤثر في المستوى العام للأسعار[4]، كما

[1] عمر أبو النصر، المرجع السابق، ص 151.

[2] الكتبي، المصدر السابق، ص239.

[3] محمد صلابي، المرجع السابق، ج2، ص444.

[4] محمد صلابي، المرجع السابق، ص445.

كانت له ملكيات صغيرة إقطاعية اتخذها ولاته لتثبيت أقدامهم على كامل حدود الدولة، وقد سلمت هاته الاقطاعات الصغيرة على بعض العمال والجنود وأقربائهم لتشجيعهم على الاستقرار والعمل في الحقل الزراعي[1] .

ونظراً لميل الخليفة هشام إلى امتلاك الضياع الواسعة، فقد أولى بها أهمية كبيرة فقام بعدة مشاريع لتطوير الزراعة والاهتمام بالأرض عموما، من بينها مشاريع الري التي شهدت نشاطاً واسعاً تجلى في حفر الأنهار وشق القنوات والجداول وإقامة السدود وأحواض المياه، وكذا إنشاء الجسور والقناطر ونصب آلات مقاييس الماء وكان العراق أكثر الولايات التي استفادت من هاته المشاريع، خاصة ولاياتها الثلاث، البصرة وواسط والكوفة، فكانوا المحور الأساسي التي تركزت فيه حركة إنشاء مشاريع الري المتعددة، من حفر الآبار وشق القنوات والجداول وإقامة السدود والقناطر[2]، فكان لدى هشام العديد من الضياع والأراضي الزراعية، وكان ينافسه في ذلك واليه خالد القسري، حتى قيل أن هشام كان يمنع خالداً من تسويق غلاله قبل غلال الخليفة[3]، فكل هاته المشاريع ساهمت في انتعاش اقتصاد البلاد.

**02/ واردات الدولة :**

إن ما يصل لبيت مال المسلمين من واردات، إنما هو من زكاة بمختلف أنواعها، كزكاة الذهب والفضة وزكاة السوائم، وزكاة الزرع والثمار، وزكاة المعدن والركاز وغيرها، ومن الجزية والفيء والغنيمة والخراج وغيرهم من واردات كانت تملأ خزائن مال بيت المسلمين.

أما زكاة السوائم: فهي زكاة الإبل والغنم ويلتحق بها العتر، وأما زكاة المعدن والركاز: فهي مال وجد تحت الأرض سواءاً كان معدناً خلقه الله تعالى بدون أن يضعه أحد فيها أو كان كنزاً دفنه الكفار[4].

[1] صلاح طهبوب، المرجع السابق، ج3، ص149 .

[2] نفسه، ص155-156.

[3] إبراهيم زعرور، علي أحمد، المرجع السابق، ص116.

[4] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج1، ص382.

أما عن الجزية والفيء، فالجزية مبلغ معين من المال يدفع على الرؤوس وتسقط بالإسلام[1] والفيء والغنيمة مال وصل من المشركين للمسلمين عفواً من غير قتال ولا بإيجاف خيل أو ركاب، والغنيمة هي كلما أصابه المسلمون من عساكر أهل الشرك بالقتال[2]، والخراج هو مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة[3].

لقد غنم هشام بن عبد الملك الغنائم الكثيرة من واردات دولته، خاصة ما كان يصله من الولايات، أهمها العراق وخراسان ومصر وبلاد الشام، ففي العراق كان خالد بن عبد الله القسري والياً عليها، دامت ولايته 15سنة وكان نشيطاً، وّجه اهتمامه للزراعة، وعمارة الأرض وشق الترع، وإقامة القناطر وحفر نهري الجامع والمبارك[4].

بلغت غلة أراضي خالد القسري بالعراق عشرين مليون درهم، وكان يبعث بأموال الخراج إلى الخليفة هشام[5] إلا أنها لم تكن بالمبالغ الكبيرة، وذلك راجع إلى نفقات خالد القسري على المشاريع الكبيرة التي قام بها، كحفر الآبار واقامة القناطر واستصلاح الأراضي، فهذه المشاريع كلفته المال الكثير .

انكب خالد على اصلاح الأراضي الزراعية، واتخذ سبيله لذلك في تجفيف المستنقعات واعداد منها أراضي صالحة للزراعة، ووفق في عمله خير التوفيق، واذا بالأراضي الطيبة تخرج من تلك المستنقعات، فتقدم الغلات الوفيرة، و لم يحجم خالد عن الاستفادة بنفسه من تلك الاراضي البوار التي أحياها بل ضم قسماً منها لشخصه يزرع له ويحرث ويأخذ غلته، إلا أنه ما كان يستبقي من ربحه منه الا القليل، فقد كان يوزع المال على أتباعه وحواشيه والناس، فيلقي الداعين له والراضين عنه، وكان يوافي هشاماً بخراج كبير وبمال وفير، فيسرّ الخليفة بزيادة دخل بيت المال[6]، وفي ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق ازداد واردات الدولة المالية، وكان جمع

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج1، ص282-283.

[2] نفسه، ص385.

[3] نفسه، ص376.

[4] البلاذري، المصدر السابق، ص402-403.

[5] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق ، ص73.

[6] يوسف العش، المرجع السابق، ص287.

الأموال في العراق مسؤولية الولاة، كما أنهم مسؤولون أيضاً عن الصرف في حاجيات البلاد ونفقاتها، لتصبح العراق في طليعة ولايات الدولة[1].

أما الولايات الأخرى كخراسان ومصر وبلاد الشام وغيرهم، فكانت تمّد بيت المال من الغنائم الناتجة عن الجهاد، ومن الجزية والفيء، فكانت متفاوتة الثراء لاختلاف مواردها ومصادرها، إلا أنها ساهمت في انتعاش اقتصاد البلاد[2].

ومما ساعد الخليفة هشام على تنظيم أمور دولته الاقتصادية، استحداثه لديوان جديد وهو ديوان الأوقاف والأحباس، فقد كان أول قاضي بمصر وضع يده على الأحباس هو توبة بن نمر في زمن هشام، وانما كانت الأحباس في أيدي أهلها وفي أيدي أوصيائهم، فلما كان توبة بن بن نمر قال: ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا على الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفاظاً لها، فصار الأحباس ديواناً عظيماً[3].

**03/ نفقات الدولة:**

كانت الدولة تصرف من وارداتها على أعطايات الجنود، ونفقة الجيوش وتجهيزاتها ورواتب موظفيها، ونفقات الخلافة والانفاق على اقامة المشاريع كبناء المدن والمساجد واقامة السدود وحفر الترع والأنهار الى غير ذلك، وسنحاول فيما يلي ذكر هذه النفقات زمن الخليفة هشام.

**1العطاء:** كانت الدولة الإسلامية قد بلغت أقصى اتساعها في عهد الخليفة هشام، كما قامت في عهده حركات وثورات قوية، لذا كانت الحاجة الماسة إلى الجيش قوي كثير العدد، ومن الطبيعي أن ذلك الجيش يحتاج إلى سلاح ومال يطوف على أفراده، وكانت الدولة تقدم لجندها مبالغ سنوية كأعطيات تصرف لهم في مطلع شهر محرم من كل عام[4]، وكان بيت المال في دمشق أو في مقر الولاية يجهز به الخليفة أو الولاة بما يحتاجونه من الأموال بمثابة أعطيات للجند وغير ذلك من النفقات، وكانت تلك الأموال يجمعها العمال المتخصصون، وقد سار الأمويون على

[1] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص77.

[2] محمد ضيف الابطاينة، في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ـــ الحياة الاقتصادية في صدر الاسلام ، ج2، ط1، دار الفرقان، عمان الأردن، 1987م، ص160-161.

[3] محمد صلابي، المرجع السابق، ص447.

[4] خالد جاسم الجنابي، المرجع السابق، ص93.

القواعد التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تأمين أعطيات الجنود من واردات الخراج والجزية، فإذا ما زادت من أموال الخراج والجزية زيادة حملت هذه الزيادة إلى الخليفة ليضعها في بيت مال المعد للمصالح العامة، أو لإكمال النقص في أعطيات المقاتلة في أمصار أخرى[1].

كان الحد الأدنى لعطاء الجند في العصر الأموي يتراوح ما بين مائتين إلى ثلاثمائة درهم سنوياً واستمر هذا المقدار كحد أدنى للعطاء حتى نهاية العصر الأموي، ويتضح ذلك من خطبة أبي سلمة الخلال في الكوفة بعد انتصار العباسيين التي يبيّن فيها أن بني أمية كانوا يفرضون لجندهم ثلاثمائة درهم في السنة وأنه جعل لهم في الشهر ثمانين درهم[2].

كان العطاء يفرض لمؤيدي الدولة، فقد كتب هشام الى والي المدينة عبد الواحد النضري أن يفرض لقوم نصيب الشاعر، وكان هشام يفرض لبعض الشعراء خشية ألسنتهم، وقد يرفض للحاجة بأمر الخليفة، وكان الغزو يفرض على من يأخذ العطاء، فلم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو فمنهم من يغزوا ومنهم من يخرج بديلاً، وكانت الدولة تمتع العطاء لمن أيّد أحدى الحركات المعارضة للسلطة الأموية، وتشطب اسمه من ديوان العطاء، وكان الخليفة وحده من يستطيع أن يفرض العطاء أو يمنعه[3].

وقد كان هشام بن عبد الملك شحيحاً في عطاياه، قليل الصرف والهبات والأعطيات للشعراء وسواهم، كما كان شديداً في تعامله المالي، وتحديد رواتب العلين معه، فقد طلب منه أحد الموالي زيادة عطائه عشرة دنانير فرفض من ذلك وقال: " ما يخيل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء إلا بقدر الجوز لا لعمري لا أفعل"[4].

[1] خالد جاسم الجنابي، المرجع السابق، ص88.

[2] نفسه، ص92-93.

[3] محمد صلابي، المرجع السابق،ج2، ص447.

[4] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص90.

**2/ المشروعات العامة:**

كان الصرف على المشروعات العامة، أحد وجوه الإنفاق في الدولة الإسلامية، فكان الإنفاق على مصالح الدولة على حسب ما يراه الخليفة، فقد كانت بيت المال يأخذ منه مرتبات الكتاب والحجاب والقضاة، وولاة الأقاليم وأمرائها، وباقي موظفي الدولة وخدمها، كما كان يصرف على الخدمات العمومية كإنشاء وتعبيد الطرق وإقامة الجسور ومثال ذلك الجسر الذي أنشئ عام (126ه)، على النهر بمنطقة الموصل ليسهل الاتصال بين ضفتي النهر، والذي ترتب عليه ازدهار النشاط التجارة بين الجانبين وانسياب المحاصيل الزراعية في الجانبين[1].

ومن المشاريع الهامة أيضا ذات الأهمية الكبيرة لدى الخليفة هشام هي العمران فقد قام ببناء المدن والحصون والأسوار والأسواق، ولا شّك أ ن هذه المنشآت المعمارية قد كلفته ميزانية ضخمة، وسيأتي ذكر هذه المنشآت لاحقاً .

**ثانياً: الأوضاع الاجتماعية والثقافية**

**01/ الأوضاع الإجتماعية:** كانت الأوضاع الإجتماعية لدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك على حالة لابأس بها من الهدوء، شأنها في ذلك ما كانت علبه إجمالاً في عصور الخلفاء الآخرين كذا الحال بالنسبة لطبقات المجتمع وفئاته، فلم يشهد تغير على مستوى الطبقات الاجتماعية ما عد بعض التغيرات في العلاقات بين هاته الفيئات وبين الحكام و الولاة، فقد عرف المجتمع في العصر الأموي ثلاث طبقات هي : الطبقة الحاكمة، وطبقة الموالي، وطبقة أهل الذمة وقد تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى التعريف بها وإسهاماتهم داخل الدولة، ولا داعي لذكرهم تفادياً للتكرار .

**02/ العصبية القبلية:**

عمل هشام بن عبد الملك على تعزيز السلم والأمن بين أفراد مجتمعه، وحاول جاهداً على تحسين أوضاع دولته لكن هذا لم يمنع من ظهور الصراعات القبلية، ولكنه كان متقلباً في سياسته القبلية وفقاً للظروف السياسية التي عاشها، فحاول في إحدى المراحل الصراع القبلي أن يعيد التوازن بين العصبيتين، فإنحاز إلى جانب اليمنية في بادئ الأمر، بعد ازدياد قوة القيسيين حيث

[1] محمد صلابي، مرجع السابق،ج2،ص 446.

خشية من هيمنتها على الدولة فعزل العمال المضربين، وولى مكانهم بعض اليمنيين، فقد ولى خالد بن عبد الله القسري العراق كما ولى أخاه اسداً على خراسان[1].

وبذاك أخذ الفريق اليمني يستعيد قواه، حيث تعصب الواليان لليمنية، وانتقما من القيسين لكن سرعان ما انقلب الخليفة هشام على اليمنيين وانحاز إلى جانب القيسين وولى العمال منهم وفي ولاية يوسف بن عمر على العراق حدثت خصومات عدة بين القيسين واليمنيين فعلى تقاه لم يكن حليماً ولا حكيماً، بل رويت عنه أخبار في الحمق كثيرة، وكان إلى جانب ذلك من ذوي البطش والقوة، فعادت الخصومات بين اليمنيين والقيسين، فأخذ أهل الكوفة يستعدون لثورة آل البيت على الحكم الأموي الظالم[2]، وهذا ما كان من نتائجه ثورة زيد بن علي.

أما عن الحياة الاجتماعية في شرقي الدولة الأموية، فإن الأمر يختلف عن العراق اختلافاً واضحاً، فقد كان المجتمع يتكون من فئتين هما : المسلمين من العرب وغير العرب، والأتراك غير المسلمين، فكانت الأمور معقدة جداً بين الفئتين، ففي خراسان وباعتبار موقعها الجغرافي والقريب من العراق، فقد تأثرت بما يحدث من النزاع القبلي بين اليمنيين و القيسيين، ووجد هذا الصراع صداه في خراسان بين العرب[3] .

ازدادت الأمور سوءاً في خراسان وبلاد ما وراء النهر، و لم يعمل الخليفة هشام بن عبد الملك على تلاقي الوضع إلا في آخر أيامه، أما عن أيام خلافته الأولى فقد سمح للأمور بأن تأخذ بجانب السوء، و لم يدرك خطورة التعداد العمال والاهتمام الشديد بتحصيل الضرائب والخلاف بين العرب بعصبيتهم القبلية وزمرهم فأورث من بعده حملاً ثقيلاً[4] .

أما في الأقطار الأخرى للدولة فكانت حالة المجتمع مشابهة لما حدث في خراسان وما وراء النهر، ففي السند أساء البعض العمال الحكم، فاستاء الهنود لذلك وارتدوا عن الإسلام بعد أن أقبلوا عليه، وتسموا بأسماء عربية و لم ينفع الخليفة هشام تغيره عامله عليها، وكذا الحال في مصر

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 370.

[2] يوسف العش، المرجع السابق، ص 289.

[3] نفسه، ص 291.

[4] نفسه، ص 295.

فقد أساء بعض الولاة معاملة الأقباط، وضعفوا الخراج على أهل الإسكندرية فثار الأقباط سنة(107ه)، وقابل العمال ثورتهم بالشدّة والقسر لكنهم لم يقضوا عليها إلا في سنة (122ه)[1] .

أما في بلاد المغرب فقد كان المجتمع فيها يتكون من فئتين أساسيتين هما: العرب والبربر وقد كان البربر قوم أشداء صابرون أقرب إلى البداوة والعنف وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم ووقفوا إلى جانب العرب في فتوح الأندلس، وساهموا فيها خير المساهمة، فلما الفو من بعض العمال الإهمال والضّن وسوء المعاملة ثارت ثورتهم، وما زاد من حدتها ظهور الخوارج الذين تبنوا ثورة البربر، وتقلص بذلك نفوذ العرب في المغرب، أما عن بلاد الشام، فقد سارت على حكمه وتلائمة معه[2].

**03/ العمران وتأسيس المدن :**

منذ أن قامت الدولة الأموية حدث تغير في العمران وفن البناء، فقد قلد الخلفاء الأمويون الفرس الروم في عمرا ن أبنيتهم واستخدموا مهرة الصناع والبنائيين من سكان بلاد المفتوحة وبذروا الأموال الكثيرة في التفنن ببناء المساجد والقصور والحصون والأسوار ونشأ فن جديد عن الأمويين يختلف عما تقدمه من الفنون العربية والبيزنطية والفارسية، ويتمثل في مبانيه العامة والخاصة، أما مبانيه العامة فكانت خالية من الفنون التصويرية كالرسم والنحت وخصوصاً رسم الأشكال الآدمية والحيوانية واستعاضوا عنها بالكتابات لاسيما القرآنية وأشكال نباتية أما عن قصورهم فقد تسامحوا برسم الأشكال الحية التي تمثل حيوانات الصيد وأشكال الآدميين المتنوعة[3].

استطاع بنو أمية أن يبرهنوا من خلال نشاطهم العمراني على أنهم منم الشعوب المتحضرة الكبرى، ولذلك نجدهم قد احترموا تراث الماضيين واهتموا بالتعمير وأحاطوا رجال الفن والصناعة في البلاد المفتوحة بالرعاية ولأن الأمويين كانوا يميلون إلى حب الترف والتظاهر به وإلى الأبهة والفخامة، اهتموا بإنشاء القصور والصور والتماثيل وهذا ما تدل عليه الآثار الأموية الباقية من القصور الخلافية التي يتجلى فيها ميل الأمويين إلى الفن.

---

[1] يوسف العش، المرجع السابق، ص 295.

[2] نفسه، ص،296- 298 .

[3] رفيق الميهاني، المرجع السابق، ص71 .

اهتم الخليفة هشام كغيره من الخلفاء الأمويين بالعمران وكان من أولى اهتماماته، فقد بنى المدن والحصون والأسوار والأسواق، ومن بين الحصون حصن بوقا من عمل أنطاكية ثم جدد وأصلح حديثاً[1]، كما قام بتحصين ثغر المثقب على يد حسان بن ماهويه الأنطاكي، ووجد في خندقه حين حفر عظم ساق مفرط الطول فبعث به إلى هشام، وبنى أيضاً حصن قطرغاش على يدّي عبد العزيز بن حيان الأنطاكي، وحصن مورة على يدّي رجل من أهل أنطاكية، وكان سبب بنائه إيّاه ان الروم عرضوا لرسول له في درب اللكام عند العقبة البيضاء ورتب فيه أربعين رجلاً وجماعة من الجراجمة، وقام ببغراس مسلحة في خمسين رجلاً وبتنى لها حصناً[2].

كما قام بعض ولاته ببناء مدن وتجديد أسوار مدن أخرى قديمة، لإتخاذها مقرات لهم وحصوناً يلجأون إليها وقت الحاجة، فقد بنى والي السند مدينة المحفوظة، ليتخذها قاعدة لجيشه وجدد أسد القسري ولخراسان بناء مدينة بلخ في ولايته الأولى، وبنى الحر بن يوسف قيصارية هشام في مصر[3]، كما اتخذ هشام مدينة الرصافة قرب الرقة مصيفاً فرمم أسوارها وأصلح صهاريجها وأقام عدة مدن فيها[4] .

كما جدد هشام صور مدينة ملطية بعد أن فك الحصار البيزنطي عنها، وأمر ببناء عجة حصون على حدود بلاد الشام مع البيزنطيين وشحنها بالمقاتلة، وقد جدد قواعد السفن الحبية في بلاد الشام وتونس، ويبدوا أن الحركة العمرانية رافقة إستصلاح الأراضي في العراق في عهد خالد القسري، كما بنى أخوه أسد بالكوفة سقاً سمية بإسمه، وبنى يوسف ابن عمر أثناء ولايته للعراق سوقاً بالحيرة سمي بإسمه[5] .

[1] البلاذري، المصدر السابق، ص 229.

[2] نفسه، ص 228.

[3] محمد صلابي، المرجع السابق،ج2، ص446.

[4] عمر أبو النصر، المرجع السابق، ص165-166. للاستفادة أكثر أنظر الملحق 3ص87

[5] محمد صلابي، المرجع السابق، ج2،ص446.

كما قام هشام ببناء قصر الحيرة شرقي[1] وقصر الحير الغربي[2]. وكان له قصر يتخذه كمشتى في خربة المهجر، والمشهور بزخارف الفسيفساء هذا إضافة إلى قصر كان له على جبل القلعة[3] .

**2- الأوضاع الثقافية**

تولى الخليفة هشام الخلافة ليكمل رسالة الخلافة الأموية الحضارية، فقد وصلت الحضارة الاسلامية في عهده الى مستوى من التقدم في شتى المجالات، واشتهر عهده بازدياد اقبال العلماء فقد حاول تقريب بعض العلماء منه لاستفادة منهم، ومن أشهر هؤلاء العالم الجليل محمد بن سالم الزهري والامام الأوزاعي وأبو الزناد وغيرهم، وكان تأثير هؤلاء العلماء في اتخاذ القرار في بعض الجوانب، وبطريق غير مباشر من خلال تأثير قربهم من الخليفة وأسرته[4].

وقد كان الخليفة هشام شغوفاً بالاطلاع على الآثار الادبية الخاصة بالأمم الأخرى، فقد أمر بترجمة كتاب من تاريخ فارس يحتوي على صور الأكاسرة الذين ورد ذكرهم فيه، وذلك سنة 113ه، وقد تسرب هذا الشغف الى المحيطين بالخليفة، فترجم سالم مولاه بعض كتب أرسطو الى العربية[5].

وقد كان قادة الخليفة يتخيرون رسلهم في فتوحاتهم من أهل العلم والورع والفضل لدعوة أهل الكفر إلى الإسلام، هذا مع استعانتهم بالمترجمين الحاذقين بلغة العدو، وكان الجند يواظبون على تلاوة القرآن الكريم ويتناشدون الأشعار فيما بينهم أثناء تواجدهم في جهة القتال فكان ذلك يؤثر في حركاتهم ونشاطاتهم ويزيد حماسهم وتضحياتهم[6].

أما عن نشاط هشام الثقافي فلا تذكر المصادر شيئاً من قصائد أو أبيات شعرية، رغم ما للشعر من منزلة آنذاك، ومع ذلك فقد ذكر بيتاً واحداً من الشعر كان الخليفة هشام يردده دائماً وهو:

إذا انت طاوعت الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

[1] للاستفادة أكثر أنظر الملحق 4 ص 88

[2]- للاستفادة أكثر أنظر الملحق 5 ص 89

[3] حمدي شهين، المرجع السابق، ص 450. صلاح طهبوب، المرجع السابق، ص 213-214.

[4] محمد صلابي، المرجع السابق،ج2، ص 417 .

[5] حمدي شاهين، المرجع السابق، ص460.

[6] محمد صلابي، المرجع السابق،ج2، ص481.

و لم تذكر المصادر قائل البيت السالف ولعله هشام، ومع ذلك فإن هشام لم يكن شاعراً وإن كان يروي الشعر ويحب سماعه[1].

وإجمالا اهتم الأمويين بالعلوم الأدبية والنقدية واعتنوا بها خلال لعصور المختلفة، فكان العصر الأموي عصر التدوين والترجمة، لكنهم كانوا يميلون إلى العلوم الأدبية، الشعرية منها والنثرية على غرار باقي العلوم، فاهتموا بالشعر والنثر، فعرفوا الشعر باختلاف موضوعاته، مثل الشعر السياسي وشعر الغزل، كما ازدهر النثر في هذا العصر وتعددت أنواعه، فكانت الخطابة أشهر أنواعه وأشيعها، كما اهتموا بالتعليم وكان الاهتمام به امتداداً لما كانت عليه الحال في صدر الإسلام، واستجابة للمستجدات التي ظهرت في ذلك العصر، على الصعيد السياسي والإداري والاجتماعي.

أنجز الأمويون إنجازات دينية وسياسية وإيديولوجية هامة، اصبحت بها الدولة على درجة كبيرة من القوى والحضارة، فلم يحتفظ الأمويون بمؤسسات دولة الرسول صلي الله عليه وسلم والخلفاء الأوائل فقط، بل أسسوا مؤسسات جديدة كديوان الرسائل والخاتم والبريد والطراز وظهر فقه وتطور في المنصب الإداري القاضي إلى جانب انتعاش اقتصاد الدولة، وشمل هذا التطور عاصمة الخلافة على المستوى المركزي للدولة وبالولايات، وكذا على المستوى العام فكان الخليفة الأموي ممركزا للسلطة السياسية والدينية والقضائية وغيرها وإليه يرجع الولاة بالنظر.

[1] محمد صلابي، المرجع السابق،ج2، ص406.

# خاتمة

يتبين لنا مما سبق دراسته أن الدولة الاموية التي أساسها والي الشام، معاوية بين أبي سفيان سنة 41 هجري، والتي أصبحت بعد ذلك دولة الخلافة الاسلامية بعد تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عن الخلافة، لتصبح دمشق عاصمة الخلافة الاسلامية الجديدة، وصار حكام بني أمية وفروعها يتوارثون حكم الدولة الأموية بينهم, واستمر الحكم الأموي ما يقارب إحدى وتسعين عاماً، وقد شهدت توسعاً جغرافياً كبيراً وصل إلى أوروبا، وأطراف كبيرة من قارة آسيا، وقد شكلت أحداث التاريخ الأموي دولة إسلامية مترامية الأطراف تفاعلت عليها عناصر متعددة، وشهدت بنى إجتماعية وقومية متباينة، وتطورات سياسية وإقتصادية وإجتماعية، حددت مسيرتها ونهجها.

ويهدف هذا البحث المتواضع إلى إعطاء صورة واضحة المعاني عن الأوضاع التي عاشتها الدولة الأموية أيام الخليفة هشام بن عبد الملك، وتلخيصاً لما توصلنا إليه من نتائج هذا الموضوع سجلنا النقاط التالية:

- قيام الدولة الأموية كان بعد إنتهاء الخلافة الراشدة عام( 40 هـ 660م ).
- حكم الدولة الأموية أسرتان: الأسرة السفيانية والأسرة المروانية.
- يعتبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، المؤسس الأول للدولة الأموية، ويعتبر عبد الملك بن مروان المؤسس الثاني للدولة.
- وضع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الأسس واللّبنات الأولى للنواحي الادارية للدولة الجديدة، وأنشأ عدداً من الدواوين المركزية التابعة للدولة مثل: ديوان الرسائل، ديوان الخاتم، ديوان البريد، كما أنشأ نظام الحجاب والحرس والشرطة.
- طور عبد الملك بن مروان أنظمة جديدة كديوان العطاء وديوان الطراز، وديوان المظالم.
- إعتنى الأمويون بالجانب العسكري للدولة، فخصصوا نفقات للجند وللصناعات الحربية.
- طوّر الأمويّون النواحي العسكرية عما كانت عليه من قبل، من خلال الشورى في إدارة حركت الفتوحات، ومركزية القيادة والإمدادات، واهتمامهم بالعيون، والبريد وبالحدود البرية والبحرية، فأنشأ الأسطول البحري، وكانت لهم متابعة للحدود البحرية.

– بنى الأمويين عدداً من المدن الجديدة لتكون قاعدة عسكرية لهم، من أجل الإنطلاق منها الى مابعدها من الأراضي من أجل تثبيت عملية البحث.

– إنحصرت ميادين الفتوحات لدى الدولة الأموية في أربعة ميادين هي: الميدان الشـــمالي البيزنطي، والميدان الافريقي، والميدان الأوروبي، والميدان الآسيوي .

– هشام بن عبد الملك هو عاشر الخلفاء الأمويين، وسابع الخلفاء المروانيين.

– تسلم هشام بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105 هـــ.

– بلغت الدولة الإسلامية في عهد هشام بن عبد الملك أقصى إتساعها.

– واجهت الدولة الأموية في عهد هشام الكثير من الحركات والثورات، فكانت الأوضاع السياسية غير مستقرة في كثير من الولايات.

– إستطاع الخليفة هشام أن يسير على نهج الخلفاء الأمووين في القبض على شؤون الدولة بحزم وعزم وقوة، وأن يكتم جميع أموار الفتن.

– كان هشام بن عبد الملك من أكثر الخلفاء الأمويين عناية بالناحية الإقتصادية.

– أكمل الخليفة هشام مسيرة رسالة الخلافة الأموية الحضارية، فأوصل الحضارة الإسلامية الى مستوى من التقدم في شتى المجالات الإجتماعية والثقافية وغيرها.

– يعتبر عهد هشام بن عبد الملك حدّا فاصلاً بين عهد إزدهار الدولة الأموية وعلو شأنها وبين عهد إضمحلالها، وانتشار العوامل الفتّاكة في جسدها.

وأخيرا نقول بأن موضوع الدولة الأموية من المواضيع الشاسعة ، ومجال واسع وخصـــب لا يزال بحاجة الى المزيد من البحث والتنقيب.

# املاحی

**الملحق رقم (01): مخطط توضيحي يمثل نسب الأمويين**

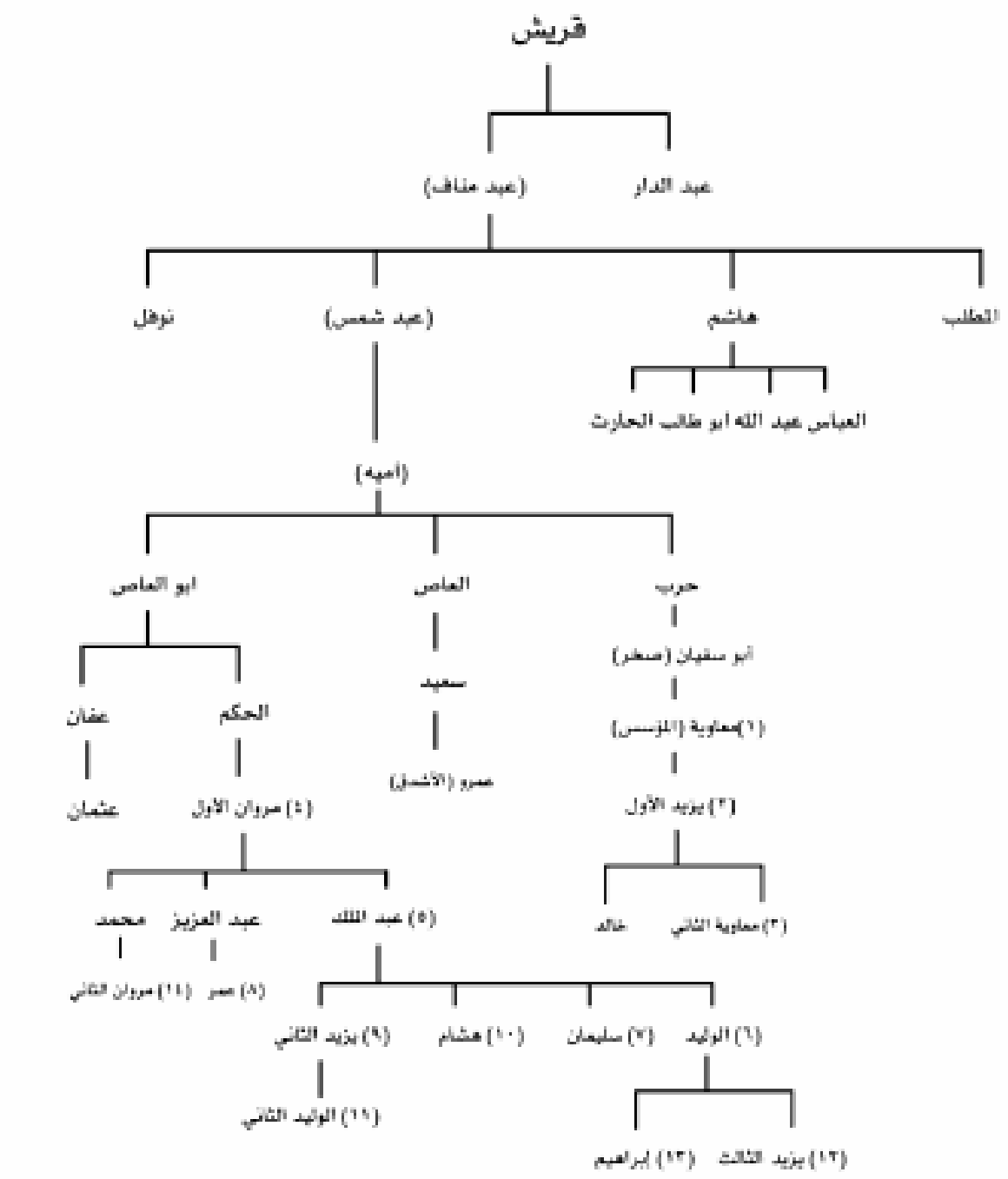


المرجع: فاروق عمر فوزي، مرجع سابق، ص **617**

الملحق رقم (02): **يوضح خريطة أقصى حدود دولة الخلافة الأموية سنة 132 هـ**

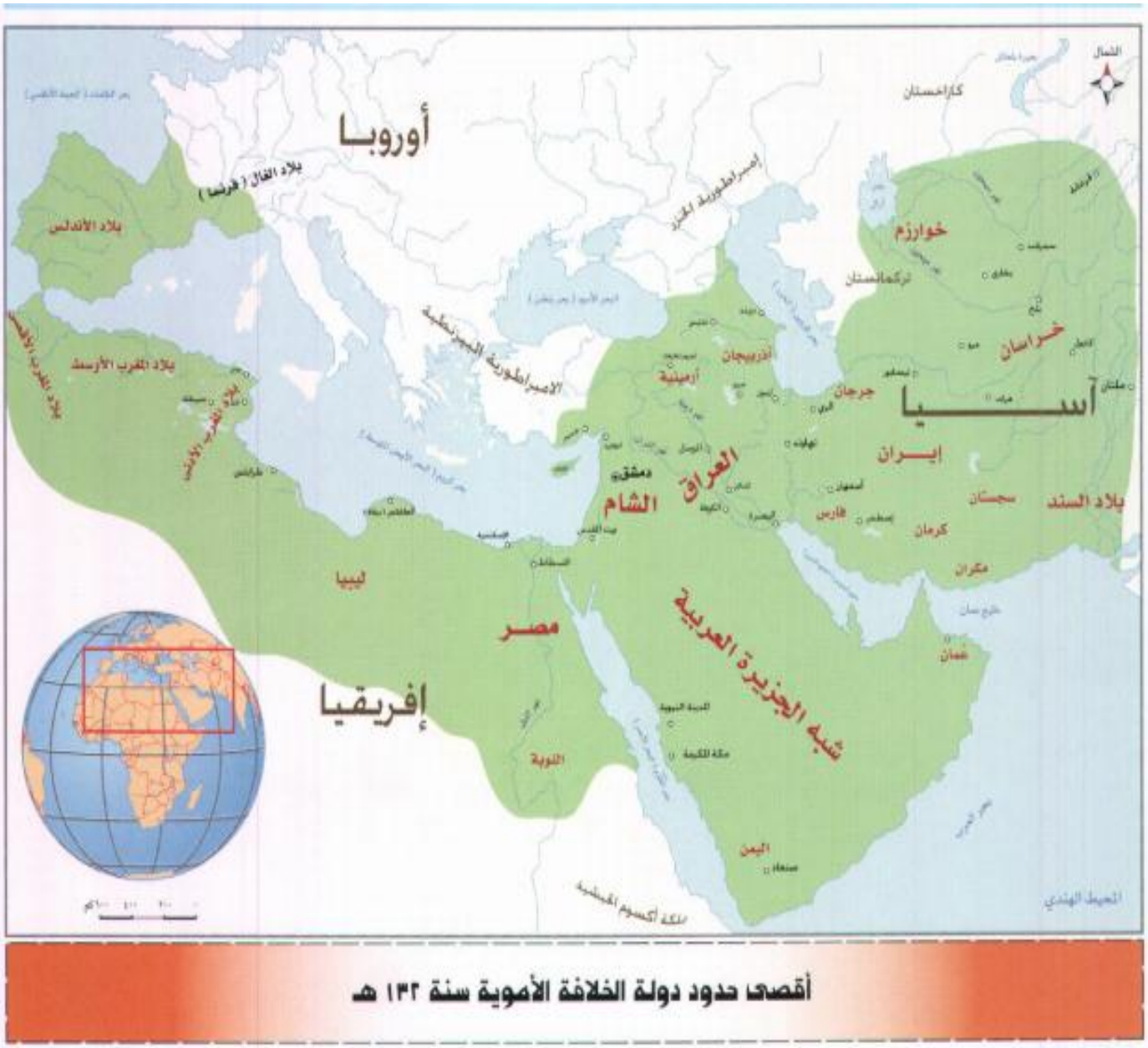


المرجع: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة الأموية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1432هـ / 2011م، ص 269.

**الملحق رقم (03): يوضح بقايا أطلال قصر هشام بن عبد الملك بالرصافة (سوريا)**

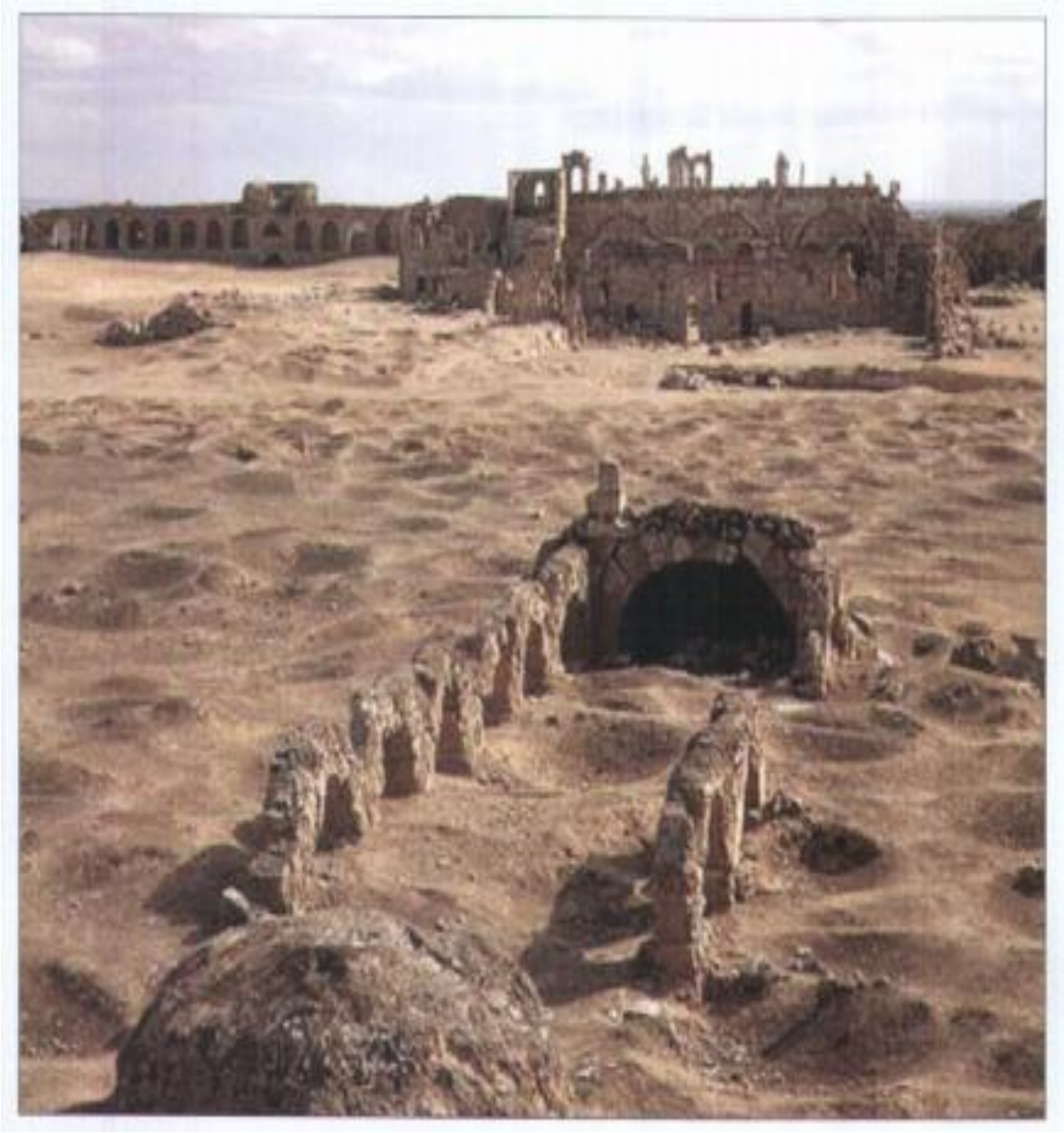

**المرجع: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص 314.**

الملحق رقم (**04**): يوضح قصر الحير الغربي

المرجع: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص **312**.

**الملحق رقم (05): يوضح قصر الحير الشرقي**

**المرجع: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، المرجع السابق، ص 310.**

# قائمة المصادر والمراجع

**أولا: القرآن الكريم.**

**ثانيا: المصادر**

1. ابن خلدون، (ت 808ه-1405م)، **تاريخ ابن خلدون**، مراجعة سهيل زكـــار ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ج3.

2. ابن خياط،(ت 240ه-854م)، **تاريخ خليفة ابن خياط**، تح أكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1985م.

3. ابن قتيبة،(ت 276ه-889م)، **المعارف**، تح ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القـــاهرة، مصر، د-ت.

4. أبي الفداء ، **تقويم البلدان**، ط1، دار الطباعة السلطانية باريس، فرنسا، 1830م.

5. أتباكي (ت874ه-1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط1، دار الكتـــب القاهرة، مصر، ج1.

6. الأثير(ت:630ه -1232م)، **الكامل في التاريخ**، ط1، دار الكتب العلمية، 1987م ج3.

7. أندلسي، (ت 328هـــ-939م)، **العقد الفريد**، تح عبد المجيد الترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ج5.

8. بلاذري، (ت 279ه-892م)، **فتوح البلدان**، ط1، دار الكتب العلمية، بـــيروت لبنـــان 1398هـــ.

9. بن خلكان، (ت 681ه-1228م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح احسان عباس ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، د-ت، ج2.

10. بن طباطبا، **الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية**، ط1، دار الصادر، بـــيروت لبنان.

11. حموي،(ت 626ه-1228م)، **معجم البلدان**، دار الصادر، بـــيروت، لبنـــان، 1993م ج1.

12. دمشقي، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تح: محمد أحمد وهمان، وخالد محمد وهمان، ، ط1 دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1992م.

13. دينوري، (ت282ه-895م) **الامامة والسياسة**، تح الشيري، ط1، مؤسسة آل البيت بيروت، لبنان، 1413هـ، ج1.
14. زبيري، (ت 1205ه)، **نسب قريش**، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر 1119هـ.
15. زركلي، (ت 1396هـ )، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1980م ج2.
16. سيوطي(ت911ه-1505م)، **تاريخ الخلفاء**، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان 2003م.
17. شهرستاني، **الملل والنحل**، ت.ع، أحمد فهمي محمد، ط3 دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992م. ابن قتيبة
18. طبري،(ت310ه-922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1971م، ج6.
19. عماد،(ت 1089ه-1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج1، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1406هـ ـ 1986م.
20. قلقشندي، (ت821ه-1418م)**مآثر الاناقة في معالم الخلافة**، تح عبد الستار أحمد فراح ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1.
21. كتيبي،(ت 764ه )، **فوات الوفيات**، تح: احسان عباس، ط1، دار الصادر، بيروت لبنان، د.ت، ج4.
22. الكثير، (ت744ه-1342م)، **البداية والنهاية**، ط1، دار الهجر، الجيزة، مصر 1997م ج9.
23. كرد علي، **خطط الشام (ت 1372ه-1953م)** ط2، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1983م، ج1.
24. ماوردي، (ت 450ه-1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** تح أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، 1989م.

25. المراكشي،(ت بعد712ه-1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأنـــدلس والمغـــرب** ج1 ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

26. مسعودي، (ت 346ه)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط2، دار الكتاب العالمي بيروت لبنان، 1990م، ج2.

27. مؤلف مجهول، **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، ط1، مكتبة المثنى، د-ت، ج2.

28. يعقوبي،(ت 284ه-897م) **تاريخ اليعقوبي**، ط1، مطبعة ريل، ليدين، 1883م، ج2.

**ثالثا: المراجع**

1. أبو الدهب، **المعجم الاسلامي**، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2003م.

2. أبو النصر، **الايام الاخيرة للدولة الاموية**، ط1، المكتبة الاهلية، بيروت، لبنان، 1962م

3. أبو زيد، **الدولة الأموية دولة الفتحات**، ط1، المعهد العالي للفكر الاســـلامي، القـــاهرة مصر، 1996م، ج8.

4. أحمد توني ، **تشويه التاريخ الأموي من خلال بعض كتابات العرب والمستشـــرقين**، ط1 دار العلوم، المنيا، مصر، د.ت

5. ازوي، **تاريخ الموصل**، تح علي حبيبة، ط13، د. د .ن، القاهرة، مصر 1967م.

6. إسماعيل علي، **تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الأمـــوي**، ط3 دار دمشق، دمشق، سوريا،1994م.

7. برتكي، **قواعد الفقه**، الصدف ببلشرز، ط1، كراتشي 1986م، ج1.

8. بن حسين، **الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجيـــة والاجتماعيـــة**، ط1، كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، تونس، 1997م.

9. جنابي، **التنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي** ، ط2، دار الحرية للطباعـــة بغداد، العراق، 1986م.

10. حسن، **تاريخ الاسلامي الديني والثقافي والاجتماعي**، ط14، دار الجيل بـــيروت، لبنـــان 1996م، ج1.

11. حمدي، **الدولة الأموية المفتري عليها**، ط1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر 2001.

12. رفاعي، **الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية**، ط3، دار الفكر، دمشق، 1997م.

13. زعرور، علي الأحمد، **تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري**، ط1، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1995م.

14. سيد، **تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي**، ط1، دار الصحابة للتراث بطنطا مصر،1998م.

15. شاكر، **التاريخ الاسلامي**، ط7، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان،2000م، ج4.

16. شنبري ، **الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك** ط1، جامعة أم القرى السعودية، 1410ه.

17. صلابي، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، ط2، دار المعرفة بيروت لبنان، 2008م، ج1.

18. طباع، **ديوان الفرزدق**، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1997م.

19. طقوس، **تاريخ الدولة الأموية**، ط7، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2010م.

20. طهبوب، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي**، ط1، دار أسامة للنشر عمان الأردن، 2004م.

21. عبادي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د-ت.

22. عمرو، **هشام ابن عبد املك والدولة الأموية**، ط2، د د ن، 1996م.

23. العمري، **الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري** ط1، دار الهجرة، 1415هـ .

24. فلهزون، **تاريخ الدولة العربية**، تر: حسين مؤنس، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، مصر، 1968م.

25. فوزي، **الخلافة الأموية دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام**، ط1، دار الشروق، عمان الأردن، 2009م.

26. كندي، **كتاب الولاة وكتاب القضاء**، ط1، مطبعة الآبا اليسوعيين بيروت، لبنان 1908م.

27. مغلوث، **أطلس الدولة الأموية**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، السعودية 2011م.

28. مهايني، **تاريخ الخلافة الأموية والعباسية والدول الإسلامية والعصور الوسطى في أوربا** ط1، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، 1946م.

29. مؤنس، **تنقية أصول التاريخ الإسلامي**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.

30. نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د-ت.

31. هادي فاضل، **سياسة تعيين ولاة العراق في العصر الأموي**، ط 1، المكتب العربي للمعارف، العراق، د ت.

32. يوسف العش، **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان** ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1989.

**رابعا: مذكرات تخرج**

1. الأحمد، **حركة الجهاد والفتح الإسلامي في الدولة الأموية وأثرهما في الدعوة إلى الله تعالى وانتشار الإسلام**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية معهد الدعوى الجامعي للدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا، بيروت، لبنان منشورة، 2008م.

2. خليل نعين ، **خلافة بني أمية عند خليفة بن خياط(41هـ-132 هـ/661- 749م)** مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الإسلامي، الجامعة الإسلامية بغزة، منشور 1431هـ- 2010م

# فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

**شكر**

**إهداء**

**مقدمة**..... أ-د

**الفصل التمهيدي: الدولة الأموية قبل عهد هشام بن عبد الملك**

**أولا: التعريف بالدولة وخلفائها**..... 06

1-التعريف تاريخ الدولة..... 06

2-خلفاء بني أمية..... 09

**ثانيا: أوضاع الدولة الأموية قبيل عهد هشام بن عبد الملك**..... 13

1-الأوضاع السياسية..... 13

الأوضاع الاقتصادية..... 15

الأوضاع الاجتماعية والثقافية..... 17

**الفصل الأول: شخصية هشام بن عبد الملك**

**أولا: حياة هشام بن عبد الملك**..... 22

1. مولده ونشأته..... 22

2. صفاته الخلقية والخلقية..... 23

3. وفاته..... 25

**ثانيا: هشام واليا للعهد**..... 26

1. علاقة هشام بن عبد الملك بالخليفة يزيد بن عبد الملك..... 26

2. توليته للخلافة..... 27

**الفصل الثاني: الأوضاع السياسية للدولة في عهد هام بن عبد الملك**

**أولا: الأوضاع الداخلية والخارجية**..... 31

1. ولاية الأمصار في خلافته..... 31

2. الحركات والثورات..... 36

**ثانيا: إنجازات هشام السياسية والعسكرية**..... 52
1. التنظيم الإداري والعسكري..... 52
2. الفتوحات الإسلامية في عهد هشام..... 62

**الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عهد هشام بن عبد الملك**

**أولا: الأوضاع الاقتصادية**..... 70
1. سياسة هشام المالية..... 70
2. واردات الدولة..... 72
3. نفقات الدولة..... 73
**ثانيا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية**..... 75
1. الأوضاع الاجتماعية..... 75
2. الأوضاع الثقافية..... 79

**خاتمة**..... 82
**الملاحق**..... 85
**قائمة المصادر والمراجع**..... 91
**فهرس المحتويات**